

المركز القومى للترجمة

تعريب الأمثال فى تأديب الأطفال

ترجمة : عبد اللطيف أفندى

مراجعة : رفاعة الطهطاوى

بمقدمة عن مدرسة رفاعة
وعبد اللطيف أفندى

نشر وتحقيق ودراسة : مصطفى ماهر

ميراث الترجمة

1398



يُعد هذا الكتاب درة فريدة من درر مدرسة الترجمة الأولى، التى أنشأها رفاعة الطهطاوى، وكان لها نشاطها الكبير فى النصف الأول من القرن التاسع عشر. ومترجم الكتاب تلميذ من تلاميذ رفاعة الطهطاوى، تولى مهمة تعريب قصص فرنسية مخصصة للأطفال الفرنسيين، هدفها تعميق المبادئ الأخلاقية فى نفوسهم. واتبع المترجم وكذلك المراجع، وهو رفاعة الطهطاوى شخصياً، منهج تعريب النص الأصلى وتمصيره وأسلمته؛ ليكون مناسباً لأطفال مصر فى ذلك الحين.

تصميم الغلاف: نسرين كشك

تعريب الأمثال فى تأديب الأطفال

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المشرف على السلسلة: طلعت الشايب

- العدد: ١٣٩٨
- تعريب الأمثال فى تأديب الأطفال
- عبد اللطيف أفندى
- رفاعة الطهطاوى
- مصطفى ماهر
- ٢٠٠٩

هذا الكتاب مجهول المؤلف ترجمه عبد اللطيف أفندى
من تلاميذ رفاعة الطهطاوى

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

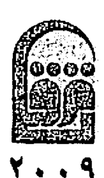
El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax

تعريب الأمثال فى تأديب الأطفال

ترجمـــــة: عبد اللطيف أفندى
من تلاميذ مدرسة الألسن

وبمراجعة رفاعة الطهطاوى

بمقدمة عن مدرسة رفاعة
وعبد اللطيف أفندى
نشر وتحقيق ودراسة: مصطفى ماهـر



٢٠٠٩

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

تعريب الأمثال فى تأديب الأطفال ؛
ترجمة : عبد اللطيف أفندى ، مراجعة : رفاعة الطهطاوى ،
نشر وتحقيق ودراسة: مصطفى ماهر ؛
القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٩
٢٠٠ص؛ ٢٤سم
١ - الأطفال - تربية
(أ) رفاعة الطهطاوى ، رفاعة رافع بن بدوى بن علـــى ، ١٨٠١ - ١٨٧٣ (مراجع)
(ب) ماهر ، مصطفى (نشر وتحقيق ودراسة) ٦٤٩,١

رقم الإيداع: ١٩٠٨١ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: I.S.B.N -978-977-479-587-1
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

مدرسة رفاعة

مصطفى ماهر

تمهيد

الترجمة ظاهرة من الظواهر الثقافية تقوم في أساسها على عملية نقل من لغة إلى لغة أو من مستوى لغوي إلى مستوى آخر، وهي عملية يمارسها بشكلها البسيط كل من يتعامل باللغة. وهي في صورها المتطورة تلعب دورا بالغ الأهمية في تكوين الثقافة وتناقلها، ومن هنا نقول إنه لا يمكن دراستها دراسة سليمة متكاملة إلا في إطار الثقافة في مجموعها. ولقد كتبت من قبل عدة دراسات عن تحركات المواد الثقافية من بيئة ثقافية إلى بيئة أخرى، سواء على مسارات وحيدة الاتجاه أو متعددة الاتجاهات أو دوارة، وبينت وجهة نظري في الدور الذي تلعبه الترجمة، وبخاصة في حركات التقدم التي نلاحظ اهتمامها الخاص بالترجمة، وفي هذا المعنى وصفت الترجمة ذات مرة بأنها أقصر الطرق إلى التقدم، وشبهتها بالتلقيح والتلاقح . والترجمة تعمل بقوانها الذاتية، ولكنها تستجيب للتخطيط، وتخدم بتقنياتها العديد من الأهداف في مجالات مختلفة. ومن هنا كانت دراسة تاريخ الترجمة ضرورية في حد ذاتها، في إطار علم تاريخ الترجمة الذي تحدثت عنه في محاضرة ألقيتها في الأسبوع الثقافي بالألسن منذ

سنوات، وهي ضرورية في إطار تشابكها وتداخلها مع دراسات علم الثقافة الذي شهد طفرة لافتة للنظر في السنوات القليلة الماضية. ونحن في الإطار البحثي المطروح في هذه الدراسة نركز جانبا من اهتمامنا على مرحلة بعينها من تاريخنا القريب، هي فترة "تغيير الأحوال" منذ القرن التاسع عشر، ونركز فيها على مدرسة رفاعة الطهطاوي وعلى ستة من تلاميذه المباشرين، أعرض هنا أربعة منهم هم :

- خليفة محمود
- محمد عثمان جلال
- عبد اللطيف أفندي
- عبد الله حسين.

أما الاثنان الآخران وهما محمد مصطفى البياع وأحمد عبيد الطهطاوي فكتبت عنهما دراسات بالألمانية والعربية، ستظهر اثنتان منها إنشاء الله في العدد الأول من مجلة "الترجمة" التي ستصدرها لجنة الأدب بالمجلس الأعلى للثقافة.

وهدفي المباشر من هذه الدراسات - التي أراها دراسات تحضيرية - هو عرض بعض الأفكار والتخطيطات شحذا للهمم على مزيد من الدراسات المتفردة التي يمكن أن تجمع في *موسوعة الترجمة* التي اقترحت في مؤتمر الترجمة القومي الذي عقدته الألسن في عام ٢٠٠٠ أن نبدأ في إعدادها وإصدارها. ومن البديهي أن نحاول فهم حركة الترجمة التي ارتبطت باسم رفاعة، وأن نتفق ونختلف، ونرصد على أية حال، موازين القوى واتجاهاتها ومحصلاتها، في ذلك العصر الذي غلب عليه الاندفاع نحو التقدم، وفهم دور الترجمة، وأقول *غلب*

لأن عملية الترجمة لقيت معارضة وتعرضت للتشويه والتخريب والتهكم، كما لقيت من الدعم والتوجيه والتمويل.

ونحن ننطلق من فهم حركة رفاعة ورفاقه وتلاميذه في إطار حركة إحياء ثقافي وتحديث ثقافي وسعي إلى التقدم واللحاق بركب التقدم والعودة إلى التواصل، وهي حركة اتصلت حلقاتها وارتبطت في كثير من إنجازاتها على نحو أو آخر بأحلام محمد علي الإمبراطورية بخيرها وشرها.

المطلوب أن نتحقق من المفاهيم في فترة زمنية وأن نتتبع تطورها زيادة أو نقصانا على مر التاريخ. ماذا حدث على وجه التحديد في عصر رفاعة الطهطاوي؟

في تقديري أن الأمر لم يكن مجرد تغيير ثقافي طرأ على بنية كانت موجودة ولكنه كان تحولا من نسيج ثقافي إلى نسيج آخر، تحولا من ثقافة عصر إلى ثقافة عصر آخر. كانت هناك طائفة من الناس راضية بما لديها لا تريد تبديله بل تتمسك به وبجذوره القديمة تمسكها بشجرة أبدية ترجع معها إلى الخلف تتخلف معها، وكانت هناك طائفة ثانية عرفت بفهمها وحسها أن هناك في بيئات ثقافات أخرى مرتبطة بخط الزمن المنساب قدما المتقدم التقدمي، وكانت هناك بين هذه وتلك طوائف تتأرجح يمنة ويسرة، تريد التقدم وتخشاه، وتنعطف إلى القديم وتضيق بتخلفه، ومن هنا نشأت الاتجاهات التوفيقية أو الترقيعية أو المذبذبة أو الحائرة أو المذعورة.

وسأعيد هنا قراءة بعض الشواهد التي أوردها شفيق غربال، أستاذ الأساتذة، في تقديمه رسالة الماجستير الفذة التي كتبها تلميذه أحمد عزت عبد الكريم، وبعض الشواهد التي أوردها كاتب الرسالة، وعلى كليهما تعلمنا.

أولا

حالة الفلاح الرشيدي - حسين حلبي عجوة - الذي ابتكر آلة لـــدق الأرز تدور بثورين بدلا من أربعة، أي توفر نصف الطاقة (الجبرتي: عجائب الآثـــار، في حوادث عام ١٣٢١، انظر أيضا ص ٢٥٧ من كتاب أمين سامي باشـــا، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، الجزء الثاني، مطبعة دار الكتب، ١٩٢٨). كانت هناك عقول تفكر، ترفض التخلف، وتبحث عن التقدم. هذا الفـــلاح الذكي لو أتيح له أن يتصل بالعلوم والتقنيات التي تراكمت في معـــين الثقافـــة الإنسانية، لوفر على نفسه ابتكار ما قد تم ابتكاره، ولخطا إلى الأمام لصالحـــه وصالح الإنسانية خطوة أو خطوات، فمن لا يعلم يدور في حلقة مفرغة ويضيع جهوده.

ثانيا

كلام رفاعة عن "معرفة سائر المعارف البشرية المدنية" التي تـــودي إلى تقـــدم الوطن . وقد وصف هذه العلوم قائلا:" هذه العلوم الحكمية العملية التي يظهر لنا أنها علوم أجنبية هي علوم إسلامية نقلها الأجانب إلى لغاتهم من الكتـــب العربية". هذا الوصف الذي استخدمه رفاعة في "مناهج الألباب" نطوره نحـــن اليوم في إطار مفهومنا عن الثقافة فنقول إن رفاعة أدرك أن علوم هذه المنطقـــة من العالم التي تحيط بالبحر المتوسط، وتقوم منها مصر مقام القلـــب والعقـــل، وتمتد عبر الجزيرة العربية إلى تخوم فارس والهند وعبر الشمال الأفريقي إلى المحيط الأطلسي ومن خلال الجنوب الأوروبي إلى شماله، هذه المنطقة على ما فيها من اختلافات ثقافية محلية، عالم ثقافي واحد، تتنقل النعم الثقافية بين بيئاته، فتروح وتجيء، أو تدور دورات، تترتب فيها الكيانات الثقافية هرميا بالغة ما أسمـــاه رفاعة المعارف البشرية ومن نسميه الثقافة العالمية. ولم يكن رفاعـــة أول مـــن

راودته هذه الأفكار، بل هو سار على نهج أستاذه الشيخ حسن العطار وطالب بالمعرفة بلا حدود. وكان الشيخ حسن العطار قد قام برحلات خارج مصر لمشاهدة العالم الخارجي، وكان إلى جانب تحصيله العلوم التي تدرس في الأزهر قد درس علوما أخرى مثل الطب والفلك. قال عنه علي مبارك في الخطط التوفيقية (م ١، ج ٤، ص ٣٨) إنه "اتصل بناس من الفرنساوية فكان يستفيد منهم الفنون المستعملة في بلادهم ويفيدهم اللغة العربية، ويقول: إن بلادنا لا بد أن تتغير أحوالها ويتجدد لها من المعارف ما ليس فيها، ويتعجب بما وصلت إليه تلك الأمة من المعارف والعلوم وكثرة كتبهم وتحريرها وتقريبها لطرق الاستفادة." أدرك الشيخ حسن العطار أن فرنسا نهضت بالعلم، وتركز اهتمامه على : ١) الكتب المنوعة الكثيرة ٢) المناهج التي قامت عليها العلوم ٣) طرق تأليف الكتب التعليمية التي سعت إلى ترتيب وتبسيط وتدرجها على نحو ييسر فهمها.

ثالثا

رأي محمد علي الذي صرح به في ٢٥ يناير ١٨٢٦ وأثبته دوان Douin, Une Mission Militaire auprès de Meh. Ali, p. 98. De Boyer à Belliard (Janv. 25, 1826) وهو :"أن كل ما هو مفيد من النظم الغربية قد كتبه أصحابها، فإذا ترجم إليه استطاع أن يسير طبقا له"

رابعا

كلام مفتي المنصورة رواه عنه في عام ١٨٣١ المؤرخ الفرنسي ميشو Michaud .. قال المفتي:"إن مثل الشرقيين في محاكاتهم الغربيين والنقل عنهم مثل الرجل الكفيف الذي ارتطم في وهدة يدعو المارة إلى مده بقبس من النار، وماذا ينفعه؟ أنتم معشر الغربيين لا تعملون عملا إلا متكلمين، أما نحن فالصمت عندما نلهو

عين الحكمة، الأصل عندكم الحركة وعندنا السكون، نعرف نحن أن ثمن الحرية هو الكدح والدأب. ولما كنا نكره النصب أكثر مما نعشق الحرية فقد عشنا يستبد بأمرنا كل ذي عزيمة وهمة لا تعرف الكلل. تتهمون الشرقيين بأنهم جامدون وأنهم دائما حيث كانوا، ولكنكم أنتم لا تعرفون متى وأين تقفون، وبذلك أنتم تذهبون إلى أبعد مما تقصدون، وعندي أن مجاوزة الهدف أسوأ من العجز عن بلوغه، هذه مثل نظرياتكم السياسية الجديدة، هل نفعت عامتكم حقا؟ أنشرت النور حقا؟ لا لم تؤد - فيما سمعت - إلا إلى الثوران والاضطراب. فما أشبه مدنيتكم بتلك السوائل المتخمرة التي تحطم الإناء الذي تصبها فيه". (Michaud et Poujoulat, Correspondance d'Orient, Bruxellès, 1841, Tome VII, p. 197.)

كان رفاعة الطهطاوي صاحب موقف فرض نفسه بقوة الدفع الحضاري لاتفاقه مع مسار التاريخ من التخلف إلى التقدم. وكان هناك موقف مضاد يمثله مفتي المنصورة. وبين الموقفين هوة سحيقة. صحيح أن كلام المفتي يدهشنا بقدرة المحاور على إدراك بعض الجزئيات مثل التضاد بين الحركة والسكون، أو بين الجمود والسعي نحو الهدف. ويدهشنا أكثر بالتشخيص المتهرئ، وبالحكم على أشياء يجهلها، فهو لم يدرسها الدراسة العلمية المتأنية. قيل له، فصدق ما قيل، ولجأ إلى الخطابة واصطناع الحجج. لم يحاول أن يخرج عن دائرة اللعب بالألفاظ ليدخل دائرة التفكير والبحث عن البيانات، والمشاهدة، والتجربة، والإفادة في البحث عن الحقيقة بما عرفه تاريخ الفكر من مناهج، لم يسلك السبيل الصحيح لالتماس العلل التي تفسر المعلولات والظروف التي أحاطت بالموضوع الذي يقضي فيه. والخلاصة أنه يرفض الانتفاع بما لدى الغربيين من علم.

رابعا

كلام الديماجوجيين من أعداء رفاعة وقد حفظ لين Lane ما روجه أحدهم عن كتاب رفاعة الطهطاوي "تخليص الابريز في تلخيص باريز" عن رحلته إلى فرنسا :"أنا أقص عليك نبأ هذه الرحلة بالحق، إنها تحتوي على وصف سفر رفاعة من الإسكندرية إلى مارسيليا وعلى ما جرى له أثناء هذا السفر عندما سكر وعربد، عند ذلك أمر الربان بشد وثاقه إلى صار السفينة وجلده. ثم نزل بلاد الإفرنج حيث طاب له لحم الخنزير ومعاشرة النساء الإفرنجيات، ثم – بعد أن ارتكب من الموبقات كل ما يعد له مقعده من النار – عاد إلى مصر". (Stanley Lane-Poole, The Life of Ed. W. Lane, London, 1877, p. 70)

تردى الموضوع على يد هذا الرجل إلى مستنقع الإسفاف الذي تستحل فيه المحرمات، وتغتصب الحقيقة، وتفرغ اللغة من مضامينها القيمة، لتتلوى على هوى الكذب والافتراء، وتصبح سلاحا خطيرا في يد السذج والأميين. ترك هذا الرجل الموضوع الجوهري وهو موضوع نقل المعارف التي بها ينطلق التقدم وصور له خياله المريض أن يتقول على "الشيخ" رفاعة فيفحش ناسبا إليه : السكر والعربدة وأكل لحم الخنزير ومعاشرة النساء الإفرنجيات ومختلقا نكتة ربان السفينة الذي شد وثاقه إلى الصاري وجلده ومستبقا يوم القيامة وحكم الله جل جلاله متنبئا للشيخ بمقعد في النار.

(ذكر عزت عبد الكريم ص ١١٤ أن أدهم (بك) درس المدفعية في انجلترة وأن محمد علي غضب عليه لأنه انصرف عن الدرس إلى محاكاة الإنجليز في ملبسهم وعاداتهم، فأعاده إلى مصر، ولم يغفر له إلا بعد وساطة عباس باشا- كما يذكر ص ١١٥ أنه كان بعد تعيينه مديرا لديوان المدارس كثير التردد على بلاد الإنجليز.

فهم رفاعة المشروع الثقافي على أنه تجديد لدروس العلم بعد اندراسها (مناهج الألباب)، ولا أقف طويلا عند مدحه ولي النعم محمد علي، فقد كان ملتزما حياله بالطاعة، وإنما أقف عند فكره الخاص الذي طوره في ظل مشروع الدولة الحديثة والحلم الإمبراطوري الذي راود الجندي الألباني المسلم الناطق بالتركية. ولا يغيبن عنا أن محمد علي كان رافضا "لتعميم التعليم بين أبناء العامة" (دفتر ٢١٢ (معية) رقم ٢٧٧ إلى الباشا السر عسكر - السر عسكر هو ابراهيم باشا - في ٢٩ ذي الحجة ١٢٥١. عن عزت عبد الكريم ص ٤٠). ولكنه كان يستخدمه في حدود مصلحته يدلنا على ذلك تقلص المنظومة التعليمية بعد ١٨٤١، بعد تحقق الاستقرار السياسي. ومن البديهي أن نتصور أن هذا الحاكم الأجنبي كان بحاجة ماسة مستمرة إلى مترجمين فوريين ينقلون عنه وإليه طوال اليوم في تدبيره أمر البلاد والعباد، وفي لقائه مع الوفود، وكان بحاجة إلى مترجمين متخصصين لينقلوا إليه أفكار المستشارين الأجانب ويقدموا إليه تقارير عن العالم الخارجي وما به من إمكانات. وكان محمد علي مع جهله القراءة والكتابة وبغض النظر عن عنفه الدموي يعلم نفسه ويطلب المعرفة عن طريق المترجمين. كانت حركة الترجمة من حوله شيئا عاديا وحيويا. وكان هو قد أدرك في العلاقة مع الآخر، مع الأجنبي، وبالنظر إلى التقدم والقوة وتحقيق المشروع السياسي والحلم الخاص ضرورة الترجمة على عدة مستويات:

١) الترجمة في تصريف أعمال المملكة مع الخارج
٢) الترجمة في التفاهم مع الأهالي وقضاء الأمور في الداخل
٣) الترجمة للإحاطة بما يحدث في العالم : كان محمد علي شديد "المواظبة على الاطلاع على كل ما في الكازيتات [=الصحف] الإفرنجية التي كانت تترجم له" (رفاعة مناهج الألباب، الأعمال الكاملة ٢/٤١١)

٤) الترجمة للتثقيف الذاتي :"وكان محمد علي يرغب "في مطالعة التواريخ، ولا سيما تواريخ الفاتحين كتاريخ اسكندر الأكبر المقدوني وتاريخ بطرس الأكبر امبراطور الروس، أي موسكو، وتاريخ نابليون الأكبر، وغير ذلك من التواريخ المترجمة إلى التركية ..." (رفاعة مناهج الألباب، الأعمال الكاملة ٤١١/٢)

٥) الترجمة في نقل الحضارة الحديثة.

الألسن

كانت هناك حركة ترجمة قبل عودة رفاعة من باريس في عام ١٨٣١، وقبل إنشاء الألسن في عام ١٨٣٥ "مدرسة تجهيزية" تعلم الفرنسية للمدارس الخصوصية وتكون هي أيضا "مدرسة خصوصية"، جاء هذا التوصيف بعد تنظيم التعليم في عام ١٨٣٦ وإنشاء شورى المدارس وديوان المدارس. ويذكر عزت عبد الكريم ص ٣٣٠ وما بعدها أن مدرسة الألسن كانت تسمى "مدرسة الترجمة" ثم تغير اسمها إلى "مدرسة الألسن". وكان ديوان المدارس مسئولا عن مطبعة بولاق. فلا غرابة في أن تقام للترجمة مؤسسة تنقلها من مستوى الجهود الفردية والإسهامات المتفرقة إلى مستوى المنظومة أوالدولة. وكان الرجل الذي تحمل بهذا العبء هو رفاعة الطهطاوي الذي مارس الترجمة في أثناء طلبه العلم في فرنسا ١٨٢٦-١٨٣١ ثم بين ١٨٣١ و١٨٣٥ في الوطن (مدرسة الطب ومدرسة الطوبجية). يذكر علي مبارك في خططه أن رفاعه هو الذي اقترح على محمد علي إنشاءها (الخطط ٥٣/١٣). ومن الثابت أن الألسن كانت لها مكتبتها، أو الكتبخانة الإفرنجية التي كانت تشتري المكتبات الخاصة القيمة وتضمها إلى ما لديها (عزت ص ١١٦). وكانت مدرسة الألسن في الأزبكية في نفس المبنى الذي كان فيه ديوان المدارس، وهو المبنى الذي شغله

المجمع العلمي الفرنسي أيام الحملة الفرنسية. ويصفونه بأنه قصر الدفتردار أو قصر الألفي بك - من أمراء المماليك، وأنه اندثر أو هدم وحل محله فندق شبرد الذي كان يقوم على ناصية شارع الألفي وشارع الجمهورية (إبراهيم باشا سابقا) ثم باد الفندق نتيجة الحريق، وانتقل إلى منطقة جاردن سيتي على كورنيش النيل ولا يزال هناك. وهذه المنطقة على يمينك وعلى شمالك وأنت قادم من شارع الجمهورية (إبراهيم باشا سابقا) في اتجاه الأوبرا، وربما بقيت بعض المباني القديمة تطل على ضلع ما تبقى من حديقة الأزبكية المأسوف عليها. وقد رأيت بنفسي هناك قبل سنوات لافتة شارع مدرسة الألسن به بعض المباني القديمة. هل بقي من ذلك شيء؟ الله أعلم. والمعروف أن مدرسة الألسن نقلت في عام ١٨٤٥ إلى مبنى جديد بالناصرية بحي السيدة زينب، ثم أغلقت في عام ١٨٥١.

في عام ١٨٤١ عند إعادة تنظيم المدارس تبين أن الألسن لم تقم بدور المدرسة التجهيزية واقتصرت على كونها مدرسة خصوصية للترجمة. وتبين أنها لم تخرج إلا "عددا قليلا" وأن "هؤلاء المترجمين - مهما تكن قدرتهم على ترجمة كتب التاريخ والقانون والجغرافيا وما يماثلها (وهي العلوم التي يدرسونها بالمدرسة والتي لا تحوي مصطلحات فنية كثيرة)- كانوا بلا شك عاجزين عن أن يستقلوا بترجمة الكتب المتعلقة بالعلوم والرياضيات: ككتب الرياضة والطبيعة والطب" (عزت ص ١٣١) ولهذا أعيد افتتاح المدرسة التجهيزية بعدد محدود من التلاميذ وألحقت بالألسن، وكان التلاميذ يتعلمون فيها الفرنسية تمهيدا لدخولهم الألسن أو غيرها من المدارس الخصوصية. وكان لرفاعة معاونوه، وتلاميذه، ومنهم المجموعة التي ذكرتها من قبل والتي يتركز اهتمامي هنا عليها:

- خليفة محمود
- محمد عثمان جلال
- عبد اللطيف أفندي
- عبد الله حسين
- محمد مصطفى البياع
- أحمد عبيد الطهطاوي

موسوعة الترجمة والمترجمين

علينا - ونحن في عصر الموسوعات ا - أن نضع مشروعا لموسوعة الترجمة والمترجمين في عصر رفاعة، وأن نخطو خطوات مدققة على ثلاث مراحـــل، في مرحلة أولى بجمع أسماء المترجمين وعناوين الكتب التي تنسب إليهم ثم ننتقل إلى مرحلة ثانية نستكمل فيها البيانات عن المترجمين والكتب ثم ننتقل إلى مرحلـــة ثالثة ندرس فيها كل حالة دراسة مستفيضة. ويمكن أن نبدأ بدايات متواضعـــة مثل هذه.

عبد الله حسين

عرفت اسمه أول ما عرفته من كتاب له عثرت عليه عند بعض الوراقين فبدأ اشتغالي به وبصاحبه، وهو كتاب :

(تاريخ الفلاسفة)

(ترجمه)

«من اللغة الفرنساوية إلى اللغة العربية»

«الكاتب اللوذعي () اللبيب الأريب الألمعي»

«السيد عبد الله أفندي نجل حسين أفندي المصري»

وهي الطبعة الثالثة كتب عليها :"نقلت من النسخة المطبوعة بمطبعة الجوائب بالأستانة سنة ١٣٠٢ طبع بمطبعة هندية مصر - القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م" فالطبعة الثانية ظهرت في عام ١٨٧٤ م أما الطبعة الأولى فصدرت في عام ١٢٥١ هـ = ١٨٣٥ م.

ويقع الكتاب في ١٦٧ صفحة من القطع ١٤×٢٠ سم وموضوعه فلاسفة الإغريق القدامى، وله مقدمة مكتوبة بالسجع كعادة العصر.

ويرد عنوان الكتاب في نفس الطبعة بصياغة أخرى هي *"مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة"* (انظر ص ٥).

والمقدمة تبدأ بحمد الله حمدا يتوسل به المترجم إلى الدخول في موضوعه : "الحمد لله الذي نوع أصناف الخلائق () وجعلهم مختلفين في العوائد والخلائق () وجعل فلاسفة اليونان أشهر الفلاسفة () وحكماءهم مشاهير الحكماء بلا سفه() أو ليس منهم من وضع الطب والميقات () والرياضيات والطبيعيات () فهل ينكر أحد معارف أفلاطون وسقراط () ولطائف مهارة ارسطاطاليس وبقراط ".

الإطار هو الدستور القرآني أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس مختلفين لحكمة هي أن يتعارفوا، وأنه هيأ للبعض سبل المعرفة، وجعل طلب العلم فريضة. ومن هنا نفهم أن يمتاز الإغريق في الفلسفة وما كانت تضمه تحت جناحيها من علوم.

وينتقل المترجم في مقدمته إلى "الصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاء دينه بالعمل بمقتضى الأخبار الجميلة () والآثار الجليلة () وحفظت شريعته من أحكام الأوائل كل فضيلة () وتنزهت عن كل رذيلة () وعلى آله الذين أزالوا الشبه والضلالات () وأيدوا دينه بالآيات الباهرات". عن طريق الصلاة والتسليم يبرز عيدا من الأفكار :

- الإسلام أمر بالعمل بناء على العلم المتوارث عن العلماء وقد انتقل من جيل إلى جيل في صورة مؤلفات عظيمة القدر (=الآثار الجليلة)
- يشدد على علم التاريخ الذي يقوم على "الأخبار"
- شريعة الإسلام حفظت من أحكام الأوائل بغض النظر عن لغاتهم وجنسياتهم وأزمانهم وأديانهم كل فضيلة، في مفهوم الحقيقة ضالة المؤمن
- وشريعة الإسلام إذ وضعت هذه القاعدة لا عيب فيها ولا رذيلة تشوبها
- والمسلمون – آل النبي ﷺ – ساروا على هذا النهج فتعلموا العلوم وأفادوا منها فأزالوا الشبهات وأيد دين الله بما اجتمع لهم من هذا العلم الذي أمدهم بالبراهين والحجج (الآيات الباهرات).

الهدف من الكتاب

بذل الجهد لكسب رضا محمد علي باشا "الخديوي الأكرم * الذي أحسن إلي بحسن التربية وأنعم" ، بالمشاركة في مشروع عزيز مصر محمد علي باشا "بإحياء ممالكه الإسلامية () وإخراجها من الجهالة إلى حيز العلمية" وهو المشروع الذي أرسل من أجله مبعوثين إلى البلاد الإفرنجية ، فتعلموا اللغات والفنون والعلوم، وجلب لهم الكتب "وصار يترجمها المترجمون" . وهو يسمي نفسه في المقدمة " المتوسل بسيد أهل الخافقين () عبد الله بن حسين"، وزاد في

العنوان كلمة "المصري" (حتى لا يختلط بحسين التركي؟). ويذكر أنه "من جملة من تعلم اللغة الفرنساوية على قدر الحال" (على قدر الحال= بعد سنة واحدة في الألسن) ، كما يذكر أنه كان وقت ترجمة الكتاب "بمدرسة الألسنة بالأزبكية"، كان في السنة الأولي ضمن مجموعة العشرين التي تخرجت في عام ١٨٣٩، وعنهم قال جاك تاجر (حركة الترجمة في مصر في القرن التاسع عشر، ص ٣١و٣٢) "وكان طلبة الفرقة الأولى يترجمون كتبا في التاريخ والأدب علاوة على المواد الدراسية التي تعطى لهم، ويقوم بتصحيحها أساتذتهم ومدير مدرستهم الشيخ رفاعة بك رافع، ثم تقدم إلى المطبعة فتنشر كتبا يقرؤها المدرسون والتلاميذ". وذكر جاك تاجر أن مدة الدراسة بالألسن كانت خمس سنوات قد تزاد إلى ست. ومن البديهي أن عبد الله حسين لم تكن له عندما ترجم الكتاب رتبة بعد، فقد كان الخريج هو الذي يحصل على رتبة ملازم ثان، وقد لا يحصل عليها إلا بعد أن يترجم كتابا يثبت به جدارته.

دور رفاعة والمدرسين وناظر عموم المدارس

يقول عبد الله حسين: "فاستعنت في مشكلات الكتاب وتحرير ترجمته بمدير تلك المدرسة البهية() كما أن المدرسين بها اعتنوا بتصحيحه () واجتهدوا في تهذيبه وتنقيحه" (ونلاحظ أنه لم يذكر أيا منهم بالاسم، ولا نعلم السبب). ترجم عبد الله حسين الكتاب بعد سنة واحدة في الألسن، ومعنى هذا أن رفاعة ساعده مساعدة كبيرة. وقد وصف علي مبارك الجهد الذي كان رفاعة يبذله قائلا: "كان دأب الشيخ رفاعة في مدرسة الألسن وفيما اختاره للتلامذة من الكتب التي أراد ترجمتها منهم، وفي تأليفاته وتراجمه خصوصا، أنه لا يقف في ذلك اليوم والليلة على وقت محدود. وربما عقد الدرس للتلامذة بعد العشاء، أو عند ثلث الليل الأخير، ومكث نحو ثلاث أو أربع ساعات على قدميه في

درس اللغة أو فنون الإدارة والشرائع الإسلامية والقوانين الأجنبيــــة". (علــي مبارك، الخطط، ١٣/٥٤).

أصل الكتاب

لم يذكر عبد الله حسين اسم مؤلف الكتاب الأصلي الـــذي ترجمــه، واكتفى بالقول: " ...تاريخ فلاسفة اليونان () حيث إنه عند الإفرنــج عظيــم الشان" . كذلك لا نعرف له عنوانا، ويبدو أنه كتاب مدرسي يحتاج إلى بحث وتنقيب وحظ للوصول إلى أصله، ولعل الفرنســيين لديــهم دار محفوظــات يحفظون فيها هذه النوعية من المكتب. والكتاب يرد ذكــره بــدون العنــوان الأصلي وبدون بيان المؤلف في كتاب الشيال ص ١٢٥ ، يـــرى الشيـــال أن رفاعة قرأ هذا الكتاب في بـــاريس - بـــين عـــام ١٨٢٦ وعـــام ١٨٣١- ويستشهد بعبارة في كتاب رفاعة الطهطاوي *"تخليص الإبريز في تلخيص باريز"*: "ابتدأنا في بيت الأفندية حين كنا معا بكتاب *سير فلاسفة اليونـــان* فقرأنـــاه وتممناه". وفي الملحوظة الهامشية يذكر الشيال "سير فلاسفة اليونـــان"، وقـــد ترجمه عبد الله أفندي حسين أحد تلاميذ الألسن وطبع في بولاق سنة ١٢٥٢ (-١٨٣٦ ميلادية) تحت عنوان *"تاريخ فلاسفة اليونانيين"*.

ويلفت النظر أن المترجم لم يشر في مقدمته من قريب أو بعيد إلى تـــراث الترجمات العربية الهامة التي قام بها حنين بن اسحق وقسطا بن لوقا وغيرهما من كبار مترجمي حركة الترجمة الأولى والتي ألقت أسس الفلسفة العربية الإسلامية بما نقلته من الفيلوصوفيا الإغريقية إلى العربية ، و لم يشر إلى فلاسفة المســلمين من أمثال ابن رشد وابن سينا والكندي والفارابي، واكتفى بنقل هذا الكتاب البسيط، واضعا النص المنقول في داخل السياق الإسلامي. ولكن المصطلحات

الفلسفية التي يستخدمها تدل على أنه والمراجعين كانوا يعرفون تراث الفلسفة العربي الإسلامي على نحو أو آخر.

تعليقات:

١) لن يمكن بطبيعة الحال أن نقارن بين الترجمة والأصل، فالأصل غير متساح. ويمكن أن نستنتج من إهداء الكتاب "لحضرة البيك ناظر عموم المدارس () حفظه مولاه () ولكل خير أولاه" أن الكتاب استخدم في المدارس، ولكننا لا نملك من البيانات ما يفيد نوعية المستقبلين للمادة.

٢) وعبد الله حسين يقول عن كتابه المترجم: "... هذا الكتاب الفسائق () ذا المنهل الرائق () المشتمل على الدرر والنفائس".

٣) أسماء الأعلام البشر والأماكن كثيرة والمترجم والمراجع والمصححون يبذلون جهودا واضحة في ردها إلى أصولها وكتابتها على النمط المتوارث (القساف والطاء الخ). أول فصل في الكتاب عن طساليس Thalès يقسول طساليس الفيلسوف وطاليس المليطي، ويذكر أنه ولد في مليطة وهي بالفرنسية Milet وبالإغريقية ميليطوس Milêtos، فجاء بالطاء من الإغريقية رغبة منسه في رد الأسماء إلى أصولها. ولكننا نجد صعوبات جمة في التعرف على الأسماء الأعلام وما تدل عليه فما بالك بقراء ذلك العصر المبكر. يقول مثلا: ولكن هسذا الرأي بعيد عن رأي اكرسيب ..." ونرجسح أن يكسون المقصسود هسو خروسيبوس Khrusippos ويكتبونه بالفرنسية Chrysippe كريسيب وهسو فيلسوف رواقي إغريقي من القرن الثالث قبل الميلاد، لم تصسل إلينسا إلا جذاذات من الرسائل المنسوبة إليه. فهو لكي يعرفنا بطاليس يستشهد بمسن نجهله، وهو لا يساعدنا بشرح أو تنويه.

٤) لا يلتزم إلا في الفصل الأول فقط "عن طاليس" بذكر التاريخ الميلادي (فطاليس ولد قبل الميلاد بنحو ستمائة وأربعين سنة) ويشير إلى التأريخ الإغريقي (طاليس ولد في السنة الأولى من الأولمبياد الخامس والثلاثين) ويقول إن الأولمبياد مدته أربع سنوات، ولكنه لا يبين أن عام ٧٧٦ ق م هو العام الأول للاحتفالات الأوليمبية الرسمية وأن الإغريق اتخذوه بداية لتقويمهم. فمن قرأ عبارة الأولمبياد الخامس والثلاثين وأراد أن يعرف الموافق لها ميلاديا عليه أن ينطلق من سنة الصفر وهي ٧٧٦ ق م ثم يضرب ٣٥×٤ ويطرحها من ٧٧٦ ليصل إلى عام ٦٣٦ ق م، ثم يحسب أن الأولمبياد أربع سنوات. وهذه العملية الحسابية ضرورية لأن الفصول التالية من الكتاب لا يرد فيها إلا التاريخ الإغريقي فقط. وبغير هذا تكون هذه المعلومة نقلا حرفيا لا يفيد القارئ.

٥) ونقرأ بعد ذلك أن طاليس من ذرية "قورموس" وهو تصحيف لأن الكلمة بالفرنسية هي Cadmos = قادموس

٦) أسماء الأماكن: يذكر أن أهل طاليس من أهالي بلاد الصور من أعمال البلاد الشامية، يريد صور Tyr ،ويقصد فينيقيا وهذا هو المقابل الذي استخدمه رفاعة في ترجمة فينيلون. أما مليطة فهي كما ذكر من مملكة يونيا ولهذا فهي مليطة اليونانية، ويقول "الفلسفة المسماة يونانية نسبة للمملكة التي ولد بها (أي يونيا) ". مدينة "ترواه" وهي التسمية الفرنسية للمدينة التي نعرفها الآن باسم طروادة. ويذكر جزيرة "قو" ويقول إن اسمها الآن "استنكوى": وهو يقصد خيوس Khios أو كيو Chio. وعنده أن دلفيس Delphes سم كاهن وهي اسم مكان وهو بالإغريقية دلفوي Delphoi وبالفرنسية Delphes ونطق الـ s التي لا ينطقها الفرنسيون .

٧) أما علم الفلك فيسميه "أسترونومية يعني علم الهيئة". والروم عنده هم الإغريق. وكانت كلمة الروم تعني في العربية "روم الشرق"، ثم ظهرت فيما بعد إطلاقات مثل الإغريق واليونان والأيونيون وما إليها.

٨) في السياق الإسلامي، يقول :"وكان طاليس *يحمد الله* ... الخ"

٩) "نظم الأشعار الهكسامترية أي المسدسة"

١٠) لا يذكر الكتاب أسماء كتب الفلاسفة، ولكنه يقدم تلخيصا متكاملا عاما عن حياتهم ويستشهد بعبارات فيها الحكمة وفصل الخطاب ، ويضمن مقاله عرضا لبعض الأفكار الفلسفية

١١) في الفصل المعنون "تاريخ ارسطاطاليس المسمى أيضا أرسطو الفيلسوف" نقرأ أنه ولد في السنة الأولى من الأولمبياد التاسع والتسعين وتوفي في السنة الثالثة من الأولمبياد الرابع عشر بعد المائة. راجع ملحوظتنا رقم ١).

١٢) يمكن أن نلاحظ آثار الترجمة الحرفية ص ١٠٧ في"تاريخ ارسطاطاليس المسمى أيضا أرسطو الفيلسوف" يقول: وفقد أباه وأمه *في زمن صغره جدا* فصار غير *معتنى به عند* الذين تكفلوا بتربيته.(نرجح أن "في زمن" كانت بالفرنسية lorsque وعبارة "صغره جدا" ركيكة، وعبارة غير معتنى به عند في صيغة ما يعرف بالمبني للمجهول في اللغات الأوروبية، والأفضل أن ينقل إلى العربية في صيغة المعلوم لأن الفاعل معروف ومذكور).

١٣) عبارة كاهن دلفيس ص ١٠٨ تبين أن أدرك خطأه في الفصل الأول وصححه

١٤) أكاديمية أفلاطون يسميها "مكتب"

١٥) أرسطوطاليس Aristoteles من مواليد ستاجير Stagire وهي بالإغريقية Stagiros أو Stagira .

١٦) يذكر المدرسة التي أنشأها أرسطوطاليس في أثينا الليسيه Lycée وهي نسبة إلى حي Lykeion. وقد تغيرت الـ k إلى c في الفرنسية، ونقل عنهم الناقلون هذا الاسم الحرف Lycée . يقول الكتاب المترجم: فانتخب أرسطو مكانا بمحل يسمى "ليسي".

١٧) يتحدث عن الحكيم قاليثنوس ابن عمة أرسطوطاليس والمقصود كاليسثينيس أو قاليسثينيس Kallisthenes.

١٨) لاذ بالملك هرمياس المستولي على بلاد "اترنا". المقصود هرمياس Hermias واترنا المقصود لها أتارنايوس أو بالفرنسية أتارنيه Atarnée

١٩) اللغة العربية في كثير من المواضع جميلة، واضح فيها جهد صياغة أسلوبية تال على الترجمة .

عبد اللطيف أفندي

ظللت سنوات طوال لا أعرف عن عبد اللطيف أفندي هذا غير اسمه الذي ذكره عزت عبد الكريم – ص ١٨١ والهامش ٣) و٤) – في حديثه عن الكتاتيب أو المكاتب وما نعرفه الآن باسم التعليم الابتدائي – أثبت أنه وجد في دفتر ٢٨ (مدارس عربي) ص ١٢٢٦ رقم ٧٧ إلى الكتبخانه في ١٣ ربيع أول ١٢٦١ إشارة إلى كتاب "حكايات الأطفال عربه رجل يدعى عبد اللطيف أفندي". كما أثبت أنه وجد في دفتر ٥٨ (مدارس عربي) ص ١٩٣١ رقم ١٠٧ إلى مكتب أبي زعبل في ٢٩ صفر ١٢٦٣ إشارة إلى كتاب "عقلة الصباع" الذي كان يصرف لتلاميذ الفرقتين الأولى والثانية، بينما كان كتاب *"حكايات الأطفال"* يصرف لتلاميذ الفرقة الأولى. ويعلق عزت عبد الكريم على هذه المعلومات بقوله: "ولشد ما كنا نود أن نعثر عليها كلها أو بعضها، لنرى مقدار ما أفاد التلاميذ من هذه الكتب *الحديثة*!" . وقد بذلت جهودا

مستمرة وعنيدة حتى عثرت على صورة من كتاب حكايات الأطفال لعبد اللطيف أفندي واسمه الصحيح ***"كتاب تعريب الأمثال في تأديب الأطفال"*** وكانت صورة سيئة قررت أن اجعلها مقروءة، واحتاج هذا إلى عمل وصبر لتوضيح الكلمات واستكمال الفجوات، وسأصدر عما قريب إنشاء الله طبعة مصورة منه "كتابا تذكاريا" على شرف تلميذي المرحوم الدكتور علاء الدين حلمي. أما كتاب "عقلة الصباع" فلم نعثر عليه.

وبالبحث عن عبد اللطيف أفندي وجدت ص ٤٩ من ملاحق الشيال عن الكتب التي ترجمت ولا توجد منها نسخ في المكتبات العامة تحت رقم ٧٣: كتاب الزراعة ترجمة عبد اللطيف أفندي. كما جاء تحت رقم ٧٨: كتاب سياحة أنكرسيس جوان في بلاد اليونان (ترجمة اثنا عشر مترجما معا من بينهم عبد اللطيف أفندي). كذلك نجد في ص ٥٢ نقلا عن وثائق سنة ١٢٦٠ : طابا من مدرسة الألسن إلى ديوان المدارس جاء فيه أن عبد اللطيف أفندي أتم ترجمة الجزء الأول من كتاب الزراعة . وسلم الجزء الخامس من كتاب أنكرسيس جوان لميعاد خمسة أشهر.

وهناك رجل آخر جاء إسمه ص ١١٧ في كتاب عزت عبد الكريم الملحوظة الهامشية رقم ٤، استنادا إلى دفتر ٢٨ (مدارس عربي) ص ١٢٢٦ رقم ٧٧ إلى الكتبخانه في ١٣ ربيع أول ١٢٦١ [=١٨٤٥م]: عبد الرحمن أفندي (الذي درس في انجلترا طرقا جديدة للتدريس للأطفال) ولا زلت أتتبعه فقد يكون ترجم شيئا في هذا المجال. وورد اسم عبد الرحمن أفندي في ص ٤٩ من ملاحق الشيال عن الكتب التي ترجمت ولا توجد منها نسخ في المكتبات العامة تحت رقم ٧٨: كتاب سياحة أنكرسيس جوان في بلاد اليونان (ترجمة إثنا عشر مترجما معا من بينهم عبد الرحمن أفندي). كذلك نجد في ص ٥٢ نقلا عن

وثائق سنة ١٢٦٠ (١٨٤٤) في خطاب مدرسة الألسن إلى ديوان المدارس أن عبد اللطيف أفندي أتم ترجمة الجزء الأول من كتاب الزراعة . وسلم الجزء الخامس من كتاب أنكرسيس جوان لميعاد خمسة أشهر. وأن عبد الرحمن أفندي سلم الجزء السادس من تاريخ سياحة أنكرسيس لترجمته بميعاد سبعة أشهر ونصف.

كذلك هناك حول عام ١٨٤٥م اسم مصطفى أفندي خلوصي لا نعلم عنه إلا أنه كان مثل عبد الرحمن أفندي من معاوني الديوان.

نحمد الله أننا وجدنا كتاب عبد اللطيف أفندي *"كتاب تعريب الأمثال في تأديب الأطفال"* ونقرأ في الصفحة الأخيرة – ص ١٣٢ – أن الكتاب "تم تصحيحه وطبعه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين بعد الألف والمائتين [=١٨٤٥م] من هجرة خاتم الرسل إمام القبلتين." ثم نقرأ: "ووافق إتمام طبعه الآن مع تمكين تصحيحه عنما عليه كان بدار الطباعة الباهرة الكائنة ببولاق مصر القاهرة في جمادى الآخرة سنة ١٢٦٣[=١٨٤٧م] من الهجرة المحمدية ...". فالطبعة التي بين أيدينا هي الثانية ولما يمضي على الأولى عامان، أي أن الكتاب كان مطلوبا. أما العنوان على الصفحة الأولى فجاء فيه أنه "ترجمة من الفرنساوية إلى العربية" وأن المترجم هو "الفقير إلى الله تعالى عبد اللطيف أفندي" وأنه "أحد المترجمين بقلم الترجمة بديوان المدارس".

ملحوظات:

١) للكتاب فهرست مفصل، نجد فيه بعد خطبة الكتاب بيانا بالمحتويات وهي:

أولا الحكايات وعددها عشرون.

ثانيا نبذة من الأمثال تناسب الأطفال والرجال

ثالثا مختارات من شعر الحكمة يسميه: مفردات عامة الفوائد مرتبة على الحروف وعلى مضمون الحكايات شواهد.

والقسمان الثاني والثالث إضافة من المصحح الشيخ رفاعة وربما من المترجم أيضا (أكثر من ٥٠ صفحة مؤلفة أضيفت إلى نحو ٨٠ صفحة مترجمة ومعربة. ومن إضافات رفاعة الطهطاوي قصيدة "في بر والديك بالغ تغنم × لا سيما في العيد أو في الموسم). ولهذا فنحن أمام كتاب مترجم مؤلف معا. وهذا نهج قديم نجده منذ حركة الترجمة الأولى.

وجدير بالذكر أننا لم نعثر على الأصل الفرنسي وقد تأتينا به المصادفة يوما ما. ولهذا فتعليقاتنا ستظل في إطار الاحتمالات والاستقبال الثقافي العام.

٢) تبدأ خطبة الكتاب - وهي نثر مسجوع - بحمد الله بذكر منة من مننـــه سبحانه وتعالى تتفق مع موضوع الكتاب المترجم : "الذي جعل مقدار التربيـــة والأدب () معيار عقول العجم والعرب". فموضوع التربية والأدب موضـــوع مشترك بين العجم والعرب، وسبق العجم - ويعني الفرنسيين - لأنه يترجم من ثقافتهم. ثم يصلي على النبي الكريم فيصفه بصفات من نسيج الكتاب "كـــامل الآداب النبوية () الذي أحسنت تأديبه الحضرة العليـــة () وأنطقتـــه بـــالحكم والأمثال () والإشارات المناسبة لمقتضيات الأحوال". وينوه بأصحابـــه عليـــه الصلاة والسلام أيضا بصفات متصلة بالموضوع فهم "آل المـــروءة والفتـــوة" و"أصحاب البأس والقوة".

٣) يصف المنهج بالتعريب، ونلاحظ أن فعل "عرب" كان يستخدم مرادفـــا عاما للنقل والترجمة ولكنه هنا يحمل أيضا معنى خاصا هو تحويل المادة المنقولـــة وإلباسها ثوبا عربيا خالصا بما في ذلك استبعاد الغريب أو تغيـــيره ليدخـــل في السياق المستهدف. فإذا جاء في الأصل درس دين مسيحي يضع هو بدله حفظ القرآن الكريم، وإذا دار الحديث عن أطعمة وأشربة غربية، يضع بدلها أطعمـــة وأشربة من البيئة المستقبلة. في الحكاية الأولى الطفل اسمه أحمد وضعه والداه في كتاب عند مؤدب الأطفال ليقرأ القرآن ويتعلم الخط. ويصف المترجم أسلوب الترجمة بأنه "تعبير في التعريب على عقول الأطفال لطيف خفيف". وليس مـــن شك في أن منهج التعريب والأسلمة ارتآه رفاعة ونفذه في تصحيحه، وعلينا أن نتأمل عبارة "ليناسب طبيعة البلاد والأهالي". فرفاعة هو كما ينـــوه عبـــد اللطيف أفندي قد تدخل بقلمه الذي عـــرب *وأســـلم* النصـــوص المنقولـــة فالأشخاص يحملون أسماء عربية إسلامية: أحمد ومصطفى العفيف وصفية الخ . وتشير عبارة العيد الكبير والعيد الصغير إلى تحويل إلى سياق الثقافة الإسلامية.

٤) ينوه بحضرة أدهم بيك مدير المدارس الذي تم تعريب الكتاب برأيه، وهو إبراهيم بك أدهم الذي تولى رئاسة الديوان في عام ١٨٣٩، خلفا لمختار بك الذي توفي في ذلك العام، ويقول عزت عبد الكريم عنه :"وقد درس المدفعية في انجلترا، وكان بتلك البلاد يرأس أعضاء بعثة صناعية ... وكان محمد علي قد غضب عليه لما بلغه عنه من انصرافه عن الدرس والاطلاع على النظم الصناعية الإنجليزية حتى يمكن الانتفاع بها في مصر، إلى محاكاتهم في ملبسهم وعاداتهم، فأعاده إلى مصر مغضوبا عليه، ثم عفا عنه بشفاعة حفيده عباس باشا بعد أن أبدى الندم على ما حصل منه واعترف بخطئه، وعينه ... مديرا للمدارس" (ص١١٤). كذلك نقرأ أنه كان يندر حضوره إلى الديوان - لكثرة تردده على بلاد الإنجليز - فكان ينوب عنه بيك من قولة هو أحمد بك أخو إبراهيم باشا - ابن محمد علي - في الرضاعة. وقد حصل أدهم بك على الباشوية ويتكرر اسمه حتى آخر عصر محمد علي وفي عصر اسماعيل.

٥) ويشيد عبد اللطيف أفندي بأستاذه رفاعة أفندي الطهطاوي فيقول "وكان تصحيحه على يد حضرة رفاعة أفندي ناظر قلم الترجمة أجزل الله ثوابه () أدخله تغيرا في العبارة والقالب () وبدل منه المطالب () ونظم مضمون كل حكاية في بيتين () فتمت أربعين بيتا في نحو ساعتين () سهل ألفاظها على الأطفال () لأنه لكل مقام مقال () وأعقبه بخاتمة لطيفة من النثر والنظم ليكون نفعه أعم () وليناسب طبيعة البلاد والأهالي () فجاء راقيا أعلى رتب المعالي". ويقول إن رفاعة هو الذي "سماه تعريب الأمثال () في تأديب الأطفال."

٦) الجمهور المستهدف أصلا : الأطفال والصبيان : "والله المسئول أن ينفع به الأطفال والصبيان". ولكن فكرة الفصل بين الأطفال والكبار في التعليم والتربية لم تكن قد استقرت في ضمائر الناس، ولهذا نجد إشارة واضحة فيما بعد إلى أن

الكبار أيضا يفيدون منه، فقد جاءت صياغته الأسلوبية مرتفعة المستوى، فلماذا يقرأه الصغار دون الكبار؟

٧) ولا يفوت عبد اللطيف أفندي أن يدعو لولي النعم وأنجاله ـ والله أعلم بما في قلبه، هل هو النفاق المتوارث أو الخوف من الغضب أو البطش ! أيا كان الأمر فهو يكتب: "وأن يبقي لنا ولي النعمة وأنجاله على ممر الأزمان"

٨) كلمة الأمثال التي وردت في العنوان تراجعت في المتن وسبقتها كلمتان حكاية وقصة (مثلا: الحكاية الأولى قصة أحمد ... الخ). يرجع السبب في ذلك إلى أن الشكل العام لهذا اللون من الكتابة هو نص قصصي نثري أو شعري ينتهي في النهاية بحكمة أو موعظة في عبارة جرت مجرى الأمثال أو يمكن أن تكون أو أن تصبح مثلا، قال عنها إنها من وضع رفاعة أفندي الذي "نظم مضمون كل حكاية في بيتين () فتمت أربعين بيتا في نحو ساعتين"

٩) وعلى الرغم من اتباع منهج التعريب والأسلمة فقد يقي المحور الأخلاقي التربوي في الكتاب الذي يجمع بين الترجمة والتأليف شاهدا على الوعي بوجود أمشاج عالمية تتمثل في قيم مشتركة بين ثقافات هذه المنطقة من العالم التي تحيط بالبحر المتوسط، مهبط الأديان السماوية، والتي اتسمت بالتنوع وبالتوحد معا، فبقيت فيها الهويات المحلية أو القومية راسخة في بيئاتها، متقوقعة أو مبدعة، في الوقت الذي اتصلت فيه حلقات عملية حصحصة وغربلة أفرزت من هذه الثقافات المحلية أو القومية ركائز ثقافة إنسانية عالمية عامة يهفو إليها الإنسان دون قيد من زمان أو مكان، ونراها نبعت من معين واحد أصلي هو المعين المصري القديم وارتبطت بالأديان السماوية واستقبلت نعم ثقافات متتالية ومتجاورة تأخذ الواحدة من الأخرى، فتحور وتطور وتحسن وتعيد الترتيب

رافعة خافضة، فلا غرابة في أن نجد هناك في حقل التربية الأخلاقية منظومة إنسانية عامة تؤلف بين القيم. فهذه حكاية موضوعها إتحاف الصبي والديه بأظرف تحفة، وهذه ثانية محورها الإنسان المهذب الذي يحبه الناس أجمعون، وثالثة تصور الجاني يعاقب على جنايته ولو في الدنيا، ورابعة تشدد على أهمية نظافة الثوب والبدن. ومن الموضوعات نذكر: الصبي القنوع، الغضب المؤدي إلى ارتكاب الجناية، العناد أو قوة الرأس، التحذير من كتمان الولد الصغير أشياء عن أبيه وأمه، الله تعالى بصير بكل شيء، التعفف في حالة الفقر والفاقة، البنت التي تتحمل المسئولية في الشغل والتجارة وتنوب عن أمها، مراعاة المسكين والخوف من الله تعالى، من أسعد غيره اكتسب السعادة، قاعدة مجربة لتيسير الحفظ عن ظهر قلب، الكبر يدل على الحماقة، الأدب يستحسنه الناس جميعا، الصبي الذي لا يخالف رأيه رأى إخوانه.

١٠) لم يتناول التغيير بعض السمات الاجتماعية مثل التعليم المختلط فبعض الحكايات تدور حول بنات أو بنات وصبية ومعا على النحو المألوف في الغرب. وربما كانت الكتاتيب تعلم البنات والصبيان معا، وقد عايشت ذلك في القاهرة في نهاية الثلاثينيات ومطلع الأربعينيات وبعض الحكايات ترسم صورة معدلة متطورة للمجتمع الرجالي التقليدي، فالشخصية المحورية في الحكاية الثانية مثلا بنت صغيرة قليلة الأدب هي عديلة لا تذكر الحكاية من أهلها إلا الأم دلال هانم. نجد هذه البنت ذات يوم في بعض المتنزهات، فترى بنتا مهذبة هي نفيسة هانم تتصف بصفات البنت الكاملة ومن بينها أنها تذهب إلى كتاب البنات. وتبين الحكاية كيف تقتدي عديلة هانم بنفيسة هانم.

١١) الصبية مطالبون بأن يكونوا كالكبار: أحمد في الحكاية الأولى في السادسة من عمره ولكنه يطالع في الكتب وحده "كأنه كبير السن". والبنت

الصغيرة عائشة، في الحكاية الرابعة عشرة، عندما تمرض أمها وتلزم الفراش تتولى أمر المشغل، وتبيع وتشتري، وتلتزم الصدق والأمانة كما تعلمت من أمها.

١٢) من الصعب أن نستشف منهج التبسيط اللغوي والأسلوبي لتناسب الترجمة صغار السن، وربما كان من بينها استخدام كلمات من اللغة الدارجة ذات الصلة الوثيقة بالفصحى مثل "كان لست من الستات". والواضح أن نوعية الموضوعات ببساطتها كانت تحصر المترجم في محصول لغوي محدود، وربما كان هذا ما دفعه إلى إضافة مختارات من شعر الحكمة العربي.

١٣) نجد طرائف في التعبير مثل خشنية ص ٧٥ و٧٦ - جبلية الصفات (وراثية) - ص ٤٥ طفوليته - ظفوليته - لوائح المسرة - تعبير الوجه عن السرور ص ٤٥ - تفسير الخط - فك الخط ص ٤٦ - المحاولة - الخبث ص ٤٦ - طيارة - لعبة أطفال ص ٤٧ - بركة المؤدب ص ٤٩ - الفرق بين امرأة وهانم ص ٤٩ - تشبيهات من الخمر - وأريد في ظرف هذه المسافة - في هذه الفترة من الزمن

محمد عثمان جلال

تختلف صورة محمد عثمان جلال عن صورة عبد اللطيف أفندي فلدينا معلومات عنه، وبعض أعماله ما زالت تشد طائفة من القراء والباحثين. كتب محمد عثمان جلال عن حياته بيانات موجزة نشرها علي مبارك في الخطط التوفيقية في الجزء السابع عشر، خلاصتها أنه من أهالي قرية وناء [ونا أو ونا القس] قرب بني سويف، وأنه ولد في عام ١٢٤٢هـ (=١٨٢٦) [أو كما

كتب حفيده إبراهيم جلال:١٢٤٣هـ=١٨٢٧أو١٨٢٨]وأن أباه الذي كان من كتبة بيت القاضي توفي في عام ١٢٤٩(=١٨٣٣) فأدخله جده مدرسة القصر العيني التي أنشئت للمبتدئين في أيام محمد علي باشا، والتي نقلت بعد ذلك إلى أبي زعبل في حركة مبادلة جاءت فيها مدرسة الطب البشري من أبي زعبل إلى القصر العيني وذهبت مدرسة المبتدئين من القصر العيني إلى أبي زعبل، وكان ناظر مدرسة المبتدئين هذه إبراهيم بك رأفت. حفظ محمد عثمان جلال القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة في مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية (التي شهدها أبناء جيلي وهي تتحول من الكتاب إلى كتاب متطور وشهدها البعض وهي تتحول إلى مدرسة إلزامية وشهدها من بعدنا وهي تتحول إلى روضة أطفال).

فلما أنشئت مدرسة الألسن اختار رفاعة الطهطاوي بنفسه من بين تلاميذ مدرسة المبتدئين هذه تلميذين هما محمد عثمان جلال وحسين عثمان وضمهما إلى مدرسة الألسن. [يذكره جاك تاجر ص ٣٦ "من الذين انضموا إلى الألسن بعد سنة ١٨٣٧ بقليل"] (ما هي المقاييس التي كان رفاعة يختار بناء عليها؟). تعلم محمد عثمان جلال في الألسن اللغة الفرنسية – التي كانوا يسمونها الفرنساوية – وتعلم اللغة العربية النحو والبلاغة والبيان والبديع وحفظ دواوين الشعراء أو أكبر قدر من قصائدها والتمكن من العروض، وكان برنامج المدرسة يضم علوما أخرى من أهمها التاريخ والجغرافيا والحساب والهندسة . ويبدو أن محمد عثمان جلال تخرج في الألسن في عام ١٢٦٠هـ أو ١٢٦١ هـ (=١٨٤٤م) لأنه عين آنذاك في قلم الترجمة وترجم كتاب "عطار الملوك" وموضوعه – بحسب وصفه – الروائح العطرية على اختلاف أنواعها. وفي السنة التالية ١٢٦١ = ١٨٤٥ انتدب للعمل في الديوان الخديوي ليعلم زايد أفندي – مترجم اللغة التركية – اللغة الفرنسية. وفي عام ١٢٦٢= ١٨٤٦

انتدب للعمل مترجما لرئيس قلم "الكورينتينا" وهو رجل فرنسي، فكان في جلسات مجلس الكورنتينا يترجم - ترجمة فورية أو تتبعية أو منظورة - بينه وبين رئيس المجلس وهو باقي بك.

ويحكي محمد عثمان جلال أنه نظم قصيدة في مدح باقي بك هذا فرفع مرتبه إلى ثلاثة أضعاف تقريبا : من ١٠٠ قرش إلى ٢٩٢ قرشا. وهكذا نرى مثلا محزنا لفوائد التقرب إلى الرؤساء يرجع إلى المرحلة الأولى من تاريخ تأسيس "الدولة الحديثة". فلما انتهى حكم محمد علي ١٨٤٨وإبراهيم ١٨٤٩وتولى عباس الذي اتبع سياسة حمقاء زعزعت الكثير من أسس النهضة، وجد محمد عثمان جلال نفسه في ديوان الصحة. وعندما تولى سعيد الحكم سعى إلى إصلاح الحال، فأعاد فتح كلية الطب التي أغلقها عباس وأعاد كلوت بك من فرنسا، وشغل محمد عثمان جلال وظيفة كبير مترجمي كلية الطب. ونجده في عصر إسماعيل كبير المترجمين بديوان الحربية [ترقى إلى رتبة بكباشي في عام ١٢٧٩هـ =١٨٦٢م]، ثم رئيسا لقلم الترجمة بنظارة الداخلية، ثم قاضيا بالمحاكم المختلطة إلى أن بلغ التقاعد في عام ١٨٨٦ وتوفي في عام ١٨٩٨ وله من العمر اثنان وسبعون عاما. تنقسم آثاره إلى ترجمات ومؤلفات:

الترجمات

١. عطار الملوك ١٢٦٢ هـ
٢. العيون اليوافظ في الأمثال والمواعظ
٣. الشيخ متلوف، ١٨٧٣م

٤. الأربع روايات في نخب التياترات ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م (ترجمة عن موليير: الشيخ متلوف، النساء العالمات، ومدرسة الأزواج، ومدرسة النساء)

٥. الروايات المفيدة في علم التراجيدة ١٣١١هـ/١٨٩٣م (ترجمة عن راسين: أستير، إفغانيه [إفيجيني]، الإسكندر الأكبر، أطالي)

٦. سيد (ترجمة عن كورني)

٧. الأماني والمنة في حديث قبول وورد جنة، (تعريب لقصة بول وفرجيني الفرنسية التي ألفها برناردان دي سان بيير)

المؤلفات

١. الثقلاء، مسرحية ١٨٩٦م

٢. المخدمين (مسرحية من فصلين) ١٣٢٢هـ-١٩٠٤

٣. أرجوزة في تاريخ مصر، من عهد محمد علي إلى عهد الخديوي عباس حلمي

٤. التحفة السنية في لغتي العرب والفرنساوية (منظومة)

٥. ديوان شعر

٦. ديوان زجل وملح وفكاهات

٧. يذكر د. سيد علي إسماعيل له مسرحيتين مترجمتين عن الإيطالية هما (لابندوسيت) و(مزين شاويله)، وكتاب النكات وباب التياترات ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، ومسرحية "الفخ المنصوب للحكيم المغصوب".

تعليقات

١) لم ينل محمد عثمان جلال حظه من الدرس والتقييم، وهو في تقديري من أهم حملة الثقافة في القرن التاسع عشر وصاحب فضل كبير في مجالات متعددة منها مجال المسرح، ومجال الحكايات ذوات الأمثال، والتي أفكر في

تسميتها "الحكايات الأمثالية" والشعر اللطيف والأرجوزة التاريخية. صحيح أن هناك مقالات وفصولاً كتبت عنه، ولكنها لا تغطي كل جوانب العمل الثقافي الذي قام به مترجما مبدعا له بصمته.

٢) ليس من شك في أن أستاذه رفاعة لفت نظره إلى هذا الفن المثير الذي نعرفه اليوم باسم المسرح، و لم يكن المصريون يعرفون له اسما محددا ، على الرغم من أن الساحة الثقافية على المستوى الشعبي عرفت ألوانا من التشخيص والمشخصاتية ، ولكن هذا المسرح الغربي المتطور الذي كان الفرنسيون يهتمون به اهتماما كبيرا، والذي انعقد حياله لسان رفاعة وأخذته الدهشة والحيرة والإعجاب فلم يجد من الكلام ما يصف به هذا الفن وعروضه، وكان من رأيه أنه لا بد من مشاهدة هذا التياتر أو الأسبيكتاكل لمعرفة المقصود. ولنذكر أن خليفة أفندي لم يعرف كلمة في العربية من نوع كلمة الممثل التي نتداولها اليوم في حديثنا عن الـ acteur أو الـ comédien فسماه : السخري - المخلع - صاحب التخاليع . ولكن شكل الحياة في مصر تغير بسرعة حول ستينيات وسبعينيات القرن التاسع عشر، وظهرت إلى جانب الأشكال المتوارثة من الفنون التمثيلية من قبيل خيال الظل والقرةقوز والتشخيصات الشعبية أنماط من المسرح تعارض المسرح كما تطور في أوروبا، وبنيت لهذه الأنماط الجديدة بالنسبة إلى الجمهور المصري مبانيه الخاصة، ومنها - بمناسبة افتتاح قناة السويس - دار الأوبرا ومن قبلها مسارح القصور. ومن المحتمل أن يكون محمد عثمان جلال أول من ألف مسرحية بالعربية، وهو على أية حال رائد من رواد المسرح بصورته التي تطورت في الغرب. وترجماته التي نقل بها بعض أعمال موليير وراسين وكورني يبرز فيها السعي إلى نوع من الاستقبال يقرب العناصر المختلفة أو الغريبة إلى أشباهها في ثقافة مصر في زمانه والتشديد على الوشائج الإنسانية العامة. ومن هذا المنطلق طور نموذج الترجمة الممصرة المعربة

المؤسلمة. فمسرحية التارتوف أصبحت مسرحية "الشيخ متلوف" تمثل على المسرح إلى وقت قريب. وأذكر أنني رأيتها أو سمعتها في الإذاعة المصرية وكان عبد المنعم إبراهيم ،إن لم تخني الذاكرة، يلعب دور البطولة.

٣) وقد كتبت قبل سنوات دراسة عن ترجمة محمد عثمان جلال لحكايات Fables لافونتين La Fontaine ولم أنشرها، وقد أعود لها يوما لأجددها وأبعث بها إلى مطبعة. والحقيقة أن هذه النصوص المترجمة كانت متداولة بين الناس منذ وعيت الدنيا أكثر من الآن، فقد حفظت في طفولتي في المدرسة :

الغراب والثعلب

كان الغراب حط فوق شجرة وجبنة في فمه مدورة
فشمها الثعلب من بعيد لما رآها كهلال العيد
وقال يا غراب، يا ابن قيصر وجهك هذا أم ضياء القمر؟
كنت أظن أن فيك ريشا هذا حرير قد أرى منقوشا
[...]
من ملق الناس عليهم عاشا وأكل الجبنة والجلاشا
[...]

٤) وكان الكثيرون في بيوت المثقفين ومنهم أبي وأعمامي يحفظون هذه القصيدة وغيرها من كتاب "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ" ويتمتعون باستعادتها. ومنهم من حفظها في دروس المحفوظات عندما كان الكتاب مقررا في مدارس الحكومة. أنا لم أدرك هذا العصر، ولكنني أدركت توابعه، وأذكر أنني قرأت في الخمسينيات وأنا طالب بالمدرسة الثانوية مذكرات الخديوي عباس حلمي، وأظنها كانت تنشر في جريدة البلاغ،

قبل أن تجمع في كتاب نشرته دار الهلال، وجاء فيها أنه كان يحب مجالس الأدباء والمتأدبين وأن حوارالهم كانت ممتعه، وذكر منها اختلاف حكمهم على ترجمة محمد عثمان جلال، واستنكر بعضهم استخدامه اللغة العاميـــة واستشهد بعبارة جبنة في فمه مدورة، فانبرى له عالم متمكن من العربيـــة، وأكد أن لغة محمد عثمان عربية سليمة تجرى فيها البساطة والسهولة.

٥) ومن الطرائف المحزنة ما حكاه محمد عثمان جلال عن الخيبة التي نالته مـــن والي مصر عباس الأول: "فأخذت أترجم في الأوقات الخالية كتاب العلامة الفرنسي لافونتين، وهو من أعظم كتب الآداب الفرنسية المنظومة علـــى لسان الحيوان، على نسق *الصادح والباغم وفاكهة الخلفا*، وسميتها *'العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ*"، وتعاقدت مع رجل فرنسي يدير مطبعة من الحجر ولكنه أخلف وعده لي فجهزت مطبعة أخرى وأنفقت كـــل مـــا عندي. فلما تم طبعها عرضتها على العزيز عباس باشا الأول وكان واسطتي إليه المغفور له مصطفى فاضل باشا، فرمى كتاب في وجه حامله، فعاد إلى بخفي حنين. فبعت حماري، وبقية ما أملك، وقد ركبني الهم والغم."

٦) ومن الطرائف الفريدة التي أعتقد أنها لم تتكرر أن العلامة المصري محمـــد النجاري بك (توفي عام ١٩١٤) الذي صنف القاموس الفرنسي العـــربي الكبير في خمسة أجزاء تضمها ثلاثة مجلدات كان من المعجبين بترجمة محمد عثمان جلال فضمنها قاموسه تحت الكلمات المناسبة.

٧) ومن حق القراء والنقاد والعلماء أن يختلفوا في أمر "العيـــون اليواقـــظ في الأمثال والمواعظ"، فهي نمط من الأنماط المتعددة المتباينة الممكنة للترجمـــة حسبما شرحت في دراساتي عن نظرية الترجمة، فمن كان يفضل الترجمة الحرفية سيرفض منهج محمد عثمان جلال، وكذلك من كان يتوقع ترجمة مزودة بشروح أكاديمية وتعليقات علمية سيخيب سعيه. نقل محمد عثمان

جلال ديوان لافونتين La Fontaineالفرنسي الشهير الـــذي طـــور قـــالب القصيدة المعروفة بالفابلfable – أسميها "الحكاية الأمثالية". وهي قصيـــدة تحكي حكاية موجزة حكيمة تنتهي بمثل سائر أو بما يمكن أن يكون مثـــلا سائرا، وكثيرا ما تكون أشخاصها حيوانات ناطقة ولكنها قد تكون مـــن الملائكة أو البشر أو الكائنات الأخرى. وقد عرف الأدب العـــربي هـــذا النوع – "الحكاية الأمثالية" – وبرع فيه ابن المقفع في كليلة ودمنة ، كما برع فيه ابن الهبارية صاحب *الصادح والباغم* وابن عربشاه صاحب *فاكهة الخلفاء*. والفرنسيون والفرنكفونيون ومحبو الثقافة الفرنسية يقدرون ديوان لافونتين ويعتبرونه من الفرائد والدرر. وهناك ترجمات متعددة لهذا الكتاب إلى اللغات الأخرى، ولكننا لا نعرف ترجمة حظيت بما حظي به الأصل من الشهرة.

٨) إذا نظرنا نظرة مدققة إلى منهاج محمد عثمان جلال في الترجمة نتبين أنـــه نقل الشعر الفرنسي إلى شعر عربي من نوع الزجل، بقافية بسيطة تتغير من بيت إلى بيت. ويتطلب هذا النوع من الصياغة إضافة كلمـــات وإغفـــال كلمات، وتغيير بعض الجزئيات. البيت الأول من "الغراب والثعلب"جاءت فيه كلمة غراب بدون maître : وهي لفظة تعني المعلم أو الأســـطى أو الأستاذ المحامي .أو الأسطون أو بالبلدي سيدي مثل ســـيدي الحمـــار في الحكاية الشعبية . والشاعر رأى للغراب فما و لم ير له منقارا، وجعل قطعة الجبن جبنة ، وتصورها مدورة وهي في الأصل بلا شكل محـــدد. واضـــح طبعا أن القافية فرضت نفسها: شجرة /مدورة. وفي البيت الثاني نقرأ عن الثعلب أيضا بدون maître. ومجموعة الكلمات: من بعيد لما رآها كهلال العيد، من بنات أفكار الشاعر العربي. "هلال العيد" تكسو الأسلوب ثوبا عربيا إسلاميا، هل هلال العيد، العيد هل هلاله الخ . ولا نجـــد مقـــابلا

مباشرا للعبارة الفرنسية اللطيفة monsieur *du* corbeau بما فيها من معنى الانتماء إلى النبلاء، بل نجد عبارة يا ابن قيصر، وقيصر كلمة معروفة في سجل الألفاظ العربية الدخيلة، وتصور الشاعر الثعلب في صورة شبيهة بابن السلطان أو ابن الأمراء. و لم يتابع لافونتين في وصفه الغراب بالفونيكس phénix فلا هو الفونقس ولا هو العنقاء، بل استمر في الاغتراف من المعين العربي الفصيح والشعبي فتصور صورة من قبيل وشك ولا وش القمر : وجهك هذا أم ضياء القمر.

٩) أما المثل السائر أو المبتكر فهو:

من ملق الناس عليهم عاشا وأكل الجبنة والجلاشا.

١٠) وبمقارنة هذا المثل العربي بالنص الفرنسي نجد أن المترجم أغفل معنى " المتملق يعيش على حساب أو على قفا من يسمع له" وأضاف من عنده "الجلاشا" لضرورة القافية (عاشا/جلاشا).

١١) هكذا نقل محمد عثمان جلال حكايات لافونتين نقلا لطيفا في حدود الأدوات المتاحة لنقل الشعر الفرنسي إلى شعر عربي. ولسنا في مجال إدانة المترجم أو الدفاع عنه، ولكننا نرى أنها نمط من الأنماط الترجمية الإبداعية الممكنة، وهو وإن اختصر الثروة اللغوية في الأصل حفظ بمجمل المعنى واقترب من ذوق شريحة كبيرة من قراء العربية.

خليفة محمود أفندي

يذكره جاك تاجر ص ٣٤ بين الطلاب الذين انضموا إلى الألسن في عام ١٨٣٦-١٨٣٧. ويذكر في ص ١٠٥/١٠٦ وترجماته.

وهو *الملازم أول* خليفة محمود أفندي كما يذكره عزت عبد الكريم ص ٣٤١ والشيال ص ٤٣رئيسا لقلم ترجمة كتب الأدبيات كالتاريخ والقصص والقوانين والجغرافيا، وهو القلم الذي أنشئ في عام ١٢٥٨هـ/١٨٤١. وهكذا فإن معلوماتنا عن حياته وأصله ونشأته تحتاج إلى استكمال.

ترجماته

ذكرها الشيال ص ٥٠

١. *إتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات في بلاد أوربا*، تأليف المؤرخ الإنجليزي روبرتسون Robertson ، ترجمه عن الفرنسية إلى العربية خليفة أفندي محمود أحد خريجي مدرسة الألسن، طبع في بولاق سنة ١٢٥٨هـ/١٨٤٢، وهو مقدمة لتاريخ شارلكان الآتي

٢ *إتحاف ملوك الزمان بتاريخ الامبراطور شارلكان*، تأليف وليم روبرتسون Robertson ، ترجمه عن الفرنسية إلى العربية خليفة محمود، طبع في بولاق سنة ١٢٦٦هـ/١٨٥٠

٣. *تنوير المشرق بعلم المنطق*، تأليف دي مارسيه Dumarsais، ترجمه عن الفرنسية إلى العربية خليفة محمود، طبع في بولاق سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٩

٤. رسالة تشتمل على مفردات اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية، صدر الأمر بطبعها على نفقة الميري في عام ١٢٦٤ "وإعطاء الأفندي المومى إليه [خليفة محمود]ربحها ليحصل بذلك على السرور وينال الحظ الموفور" (الوقائع المصرية في ٩ شعبان ١٢٦٤)

٥. *قلائد الجمان في فوائد الترجمان*، طبع في عام ١٢٦٦ هـ (-١٨٥٠)

تعليقات

١) جمعت صورا من هذه الترجمات وطالعت فيها ودونت العديد من الملاحظات التي أرجو أن أتناولها بعرض مستقل، وأكتفي في هذه الدراسة بالاستعانة بما كتبه الشيال وعزت عبد الكريم وجاك تاجر. ٢

٢) (الشيال ص ١٤٩) وهذا خليفة محمود يقول في مقدمة "*إتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات في بلاد أوروبا* : "وحيث أنها باللغة الفرنساوية من مستصعبات التآليف، ومختصرات التصانيف، استعنت في تذليل صعابها، وكشف نقابها، بمراجعة من لسان القلم في مدحه ووصفه قصير، ومن أتى في مدحه بأبدع مقال فإنما هو آت بيسير من كثير، حضرة رفاعة أفندي مدير مدرسة الألسن حين التوقف والحاجة إلى ذلك، وهو أيضا الذي صححها على أصلها، وقابلها كل المقابلة، فبهذا كانت خير ترجمة لا سيما من أمثالي حيث أنه لم يكن لي في مدرسة الألسن غير سنتين في اشتغالي بهاتين اللغتين ..." . وينقل الشيال (ص ١٤٩) من مقدمة خليفة محمود لترجمته *إتحاف ملوك الزمان بتاريخ الامبراطور شارلكان* قوله: "بذلت الهمة في تعريبه، وتنقيحه وتهذيبه، وازداد تهذيبا بمقابلته مع رب البلاغة والتدقيق، من أوتي في هذا الفن مفاتيح كنوز الحقيقة والتحقيق، حضرة رفاعة أفندي ناظر قلم الترجمة ..."

ويعلمنا الشيال (ص ١٩٠) أن خليفة محمود أضاف إلى ترجمته "*إتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات في بلاد أوروبا* : جدولا لشرح الكلمات الغريبة في ٤٧ صفحة. يصف خليفة محمود من ترجموا كتاب تاريخ شارلكان من الإنجليزية إلى لغات أخرى ومنها بطبيعة الحال الفرنسية التي نقل عنها بأنهم "أبطال شهد لهم بالذكاء والألمعية" ويذكر أن من يترجم من اللغات التي تكتب بحروف لاتينية مثل الفرنسية أو الإنجليزية إلى العربية يلقى صعوبة لا يلقاها من

يترجم بين لغات متشابهة مثل الفرنسية والإنجليزية "فإذا عثر من يترجم من الإنجليزية مثلا إلى الفرنساوية على كلمة لم يجد لها مقابلا في لغته يكتبها على أصلها في ترجمته وتقرأ وتفهم من غير صعوبة ..." (الشيال ص ٢١٢).

مبادئ الترجمة في رأي خليفة محمود كما بينها في مقدمة ترجمته لكتاب *إتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات في بلاد أوروبا* ويعتبرها الشيال مبادئ عامة كان يلتزمها غالبية المترجمين من مدرسة رفاعة في عملهم :

"قد حاولت مجاراة عبارات الأصل كل المحاولة، وزاولتها كل المزاولة، ولذا كانت بعض العبارات في ترجمتي على نسق يبعد بعض الوجوه عن قالب الفصاحة العربية، ويقرب من قالب اللغات الأعجمية، لأن المترجم يلزمه أن يكون أسيرا للأصل في تركيبه، ونظمه وترتيبه، والفرع إن لم يقف أثر أصله، قل أن ينجح في فعله، وربما راعيت أدنى ملاءمة بين التشبيهات ، وأوجه الاستعارات، ولكن عدلت عن كل تشبيه في الأصل يكون أعجميا محضا — فـ لت بعضا، وحسنت بعضا..."

(*إتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات في بلاد أوروبا*، ص ٨-٩)

قلائد الجمان في فوائد الترجمان

١) الطبعة التي أمتلكها (الطبعة الأولى) أتمتها مطبعة بولاق في عام ١٢٦٦ هـ (=١٨٥٠ م) . وتتضمن في صفحتها الأخيرة دعاء "لصاحب الفضل والإحسان () ناصر دولة العرفان () وناشر ألوية الأمان () ولي النعم () واسع الجود والكرم () أفندينا عباس باشا () دام كما رام وبلغ ماشا". وللكتاب عنوان كبير بالفرنسية هو: Instructions aux drogmans. أي "تعليمات إلى التراجمة". ونتساءل: هل هو كتاب توجيهات أو نصائح أو دروس؟ هل هو

كشكول؟ هل هو قاعدة من معلومات أساسية ينبغي أن يتعلمها من يرغب في الاشتغال بالترجمة ثم تتكفل الممارسة ومخالطة الأساتذة من مراجعين ومصححين بالباقي؟

٢) والكتاب في ثلاثة أجزاء يضمها مجلد واحد:

الجزء الأول:

مختصر في اللغة متضمن لما يحتاج إليه من المفردات عند التكلم (من ص ١ إلى ص٨٩)

الجزء الثاني:

يشمل الأكثر استعمالا من الجمل الأصلية المركبة من فعل وفاعل ومفعول أو من مبتدأ وخبر، وبعدها خمس وثلاثون مكالمة لطيفة مألوفة مما يتحدث به الناس آناء الليل وأطراف النهار (من ص ٩٠ إلى ص٢٠٠)

الجزء الثالث:

يذكر بوجه قريب المأخذ سهل التناول قواعد النحو والصرف عند الفرنساوية مترجمة إلى اللغتين المشهورتين العربية والتركية (بترقيم جديد من ص ١ إلى ص١٢٤)

٣) يلي عنوان الكتاب بالعربية *قلائد الجمان في فوائد الترجمان* ... نوع من التوضيح أسميه التوضيح المبهم: وهو كتاب لطيف معد لتعليم كل من اللغات العربية والتركية والفرنساوية ... اعتنى بجمع درره () وتأليف غرره () راجي رحمة المعبود خليفة بن محمود، المصري.

٤) صفحة العنوان الأولى تشهد على الالتزام بتقاليد الفلسفة الثقافية التراثية، فهي تتضمن نصا موسعا يبين به مؤلف الكتاب أن كتابه يتفق مع الشريعة، بل يعمل بمقتضاها وينفذ أوامرها. يبدأ بالكلمات المحكمات "من عرف لسان قوم أمن من مكرهم". هناك مصلحة للفرد والجماعة تتمثل في أن تعلم اللغات

الأجنبية ضرورة لأنه يضمن الأمان. ونقرأ بعد ذلك: "وفي صحيح البخاري بعد باب ترجمة الحكام قال خارجة بن يزيد عن زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتاب اليهودية حتى كتبت للنبي صلي الله عليه وسلم كتبه وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه." وقال أبو جمرة: كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس.

٥) يستشهد خليفة محمود بعد ذلك ببيتين من الشعر:

بقدر لغات المرء يكثر نفعه () وتلك له عند الشدائد أعوان

فبادر إلى حفظ اللغات مسارعا () فكل لسان في الحقيقة إنسان.

الكتاب إذن - كما يتمنى المؤلف أو المترجم - يستهدف تعليم ثلاث لغات، وهو على أية حال فيما أعلم أول كتاب في تخصص تعليم اللغات الأجنبية، وأقرب الظن أن خليفة أفندى تصور أن من يعرفون العربية يمكن أن يتعلموا بمساعدة كتابه الفرنسية والتركية، وأن من يعرفون التركية يمكن أن يتعلموا منه الفرنسية والعربية، وأن من يعرفون الفرنسية يمكن أن يتعلموا منه العربية والتركية. ولكننا نلاحظ أن نقطة الانطلاق فيه هي الفرنسية، وأن الجزء الثالث الخاص بالنحو يعرض نحو اللغة الفرنسية فقط.

٦) المؤلف يركز على "التكلم" و"المكالمات" يقصد لغة الحديث اليومي، "ما يتحادث به الناس آناء الليل وأطراف النهار". ولكنه في الوقت نفسه يشرح النحو في الجزء الثالث شرحا لا يمكن وصفه بالإيجاز، والواضح أنه يشرح النحو الفرنسي في المقام الأول.

٧) يصف المؤلف كتابه في المقدمة الفرنسية بأنه très méthodique أي حد منهجي، وهذه علامة تدلنا على تداول مفهوم المنهجية بين مفكري مدرسة رفاعة، ولكن خليفة أفندي يفهم المنهجية بمعنى الترتيب الأبجدي، وتقسيم المفردات إلى أسماء وأفعال، وتنسيق الأسماء على شكل مجموعات، فيها نوع

من التتابع من الصعب استنتاج تسلسله المنطقي، فالمجموعات هي: الإنسـان - التأثرات الباطنية - العوارض والأمراض - الحيوان -الكواكب والعناصر- الأكل والشرب - الألعاب - المناصب والحرف - الديانة - العسكرية - البحرية - الأمتعة - أجزاء البيت - الأدوات - المعادن - القرابة - المسكوكات والموازين والمقاييس- العلوم والفنون - التصوير والألوان - الزمن وأقسامه - الملابس وما إليها - النبات .

٨) في المقدمة الفرنسية يصف خليفة أفندي نفسه بأنه مدرس اللغة الفرنسية في معية صاحب السمو مصطفى بك ابن والي مصر إبان إقامته في القسطنطينية، وبأنه رئيس قلم الترجمة بديوان المدارس، ومترجم كتاب تاريخ شارلكان وغيره من الكتب.

٩) المفردات تغطي نحو ٥٠ صفحة، وهي تارة في المفرد وتارة في الجمع فليس لها نظام واحد صارم. والكلمات الفرنسية هي المنطلق ولذلك نجدها فرادى، وفي مقابل الكلمة الفرنسية الواحدة في أغلب الأحوال عدة كلمات عربية (ظاهرة اختلاف الحقول الدلالية). ثم هناك بعد قوائم الأسماء ٤٠ صفحة قوائم أفعال مرتبة بحسب أبواب التصريف (بحسب نهايات مصادر الأفعال في الفرنسية: ٣ مجموعات) ثم بحسب الأبجدية

١٠) الكلمات العربية متفاوتة في المستوى اللغوي والأسلوبي فأمام demoiselle نجد ستيته وبنت بكر، وأمام dos نجد الظهر (الضهر)، وأمام poing نجد اللكامية

١١) في مجموعة أسماء الحيوانات نجد كلمات غريبة: الذروح (الذباب الهندي)، والضفدع السمام، وشبيه النمر الخ.

١٢) سجل الكلمات يشهد على التغير الذي شمل المفردات، مثلا ballon = قبة طيارة؛ لوقاندهجي = صحب الفندق؛ السخري - المخلع - صاحب

التخاليع = comedien؛ مساح الصرم - مسـاح المراكيب؛ كفوف، جوربات اليد =gant ؛ عنتري؛ مجلس المعارف =académie

١٣) مجموعة الكلمات التي تتعلق بالديانة تخص المسيحية، وليس فيها مفـردات خاصة بالإسلام، إلا المفردات المشتركة بين الأديان

١٤) الكتاب لا يأخذ في اعتباره التدرج في الصعوبة، أو التقسيم على أسـاس دروس أو وحدات تعليمية يشد بعضها بعضا. فنحن هنا في مجـال كـان جديدا على منظومة التعليم في مصر، بل في العالم: هو تعليـم الأجـانب. والشيخ رفاعة ورفاقه وتلاميذه الأول ألقي بهم في البحر قبـل أن يتعلمـوا العوم، فصارعوا، وتعلموا من هنا ومن هناك، واستمعوا إلى نصائح ودروس فرنسيين يمارسون اللغة في منظومة التعليم الوطني.

١٥) المفروض أن المفردات تكون في مجموعها محصولا من الكلمات الأساسـية، والاختيار هنا تقديري. هناك ألفاظ كثيرة عن جسم الإنسان يمكن التساؤل عن قيمتها مثل "بز الرجل"، وعن الأمراض التي يكثر الحديث عنها، وعـن العسكرية والبحرية. ١٦

١٦) قبل المحادثة الأولي نجد جزءا - من ص ٩٠ إلى ص ١١٢ - عبارة عن جمل يسميها أصلية أي أساسية، وهي ليست حوارات، بل ربما تصورها المرحلة التالية على تعلم الأسماء والأفعال. وهو قد رتب هذه الجمل حول محاور:

(١) ما يتعلق بالرجاء والطلب وتقديم شيء على سبيل الهدية.

(٢) ما يتعلق بالتشكيك والإنكار والتعجب.

(٣) ما يتعلق بالتصديق والإثبات.

(٤) ما يتعلق بالاستشارة وطلب النصيحة.

(٥) ما يتعلق بالرضا والعطا والتشكر.

(٦) في عدم الإجابة والاعتذار.

(٧) ما يتعلق بالفرح والتعجب.

(٨) ما يدل على الغم والألم.

(٩) في التوبيخ والملامة والذم.

(١٠) ما يتعلق بالكلام والفعل والفهم.

(١١) في السن.

(١٢) في الذهاب والإياب.

(١٣) في البحث عن كتاب ضائع وفي قراءة الدرس.

وهنا أيضا نلاحظ أن اللغة الفرنسية هي المنطلق، ويجتهد خليفة أفندي في إيجاد مقابل بالعربية (وبالتركية) ويقدم صياغات متعددة منها:

أ) الترجمة الحرفية (التي لا تكاد تفهم) مثل "سروني بهذا الشيء"

ب) الترجمة الفصيحة للمعنى مثل "اصنعوا معي هذا الجميل"

ج) التعبير الدارج المختلط بالفصيح مثل "أبقى لكم في غاية المنة"

د) التعبير الدارج "ضحكوا عليكم".

١٧) لا يوجد هناك تعليم أو نصح أو توجيه موجه مباشرة للتراجمة ليعرفوا أساسيات فنهم، وليفرقوا في عملهم بين الصواب والخطأ، وليتنبهوا إلى المطلوب منهم الوعي به، والتركيز عليه. ولا نعرف على وجه التحديد من هم التراجمة الذين يقصدهم. هل هم المترجمون الفوريون؟ هل هم التراجمة الذين يرافقون الأجانب؟

١٨) المحادثات عددها خمس وثلاثون، وهي حوارات متصلة تتكون من أسئلة وأجوبة - تبدأ ص ١١٢ إلى ٢٠٠ وموضوعاتها هي:

(١) في التسليم وإهداء التحية بأدواتها وألفاظها المتعارفة.

(٢) لدى القيام من النوم.

(٣) في اللبس.

(٤) في الفطور.

(٥) في الإخبار والاستخبار.

(٦) في تحصيل اللغة الفرنساوية.

(٧) في فصل الربيع والنزهة.

(٨) في فصل الصيف.

(٩) في العوم والسباحة.

(١٠) في فصل الخريف.

(١١) في فصل الشتاء.

(١٢) في الصيد والقنص.

(١٣) في كتابة جواب.

(١٤) مع الطبيب وحكيم الأسنان.

(١٥) في اشترا (؟) بيت في الخلا.

(١٦) مع الساعاتي.

(١٧) في اشتراء حصان.

(١٨) مع بياع الجوخ والحرير.

(١٩) مع الصرماتي والخياط.

(٢٠) في قهوة.

(٢١) في استئجار خادم.

(٢٢) مع أحد الدكاكنية.

(٢٣) مع أحد الجواهرجية.

(٢٤) في فن الرسم.

(٢٥) في اشتراء عربة للسفر.

(٢٦) في السفر بالعربة

(٢٧) مع المأمورين بالكمرك (هكذا!).

(٢٨) في لوكاندة (خمارة).

(٢٩) في إيجار أوضة.

(٣٠) مع بياع الكراسي والأمتعة اللازمة للبيت.

(٣١) في الفرجة على المدينة.

(٣٢) مع الغسالة.

(٣٣) مع الصراف.

(٣٤) مع الكتبي.

(٣٥) في ركوب السفينة.

١٩) الجزء الثالث الخاص بالنحو يتكون من ٦٩ "نمرة" وهو خاص بشرح النحو الفرنسي. وفيه تجميع للجهود التي بذلت لتعريب مصطلحات النحو الفرنسي وتقريبها إلى منظومة النحو العربي. تحت "نمرة ٢" نقرأ عن الاسم الخاص nom propre والمراد منه "العلم" والاسم العام "النكرة الشائع في جنسه" nom commun. وتحت نمرة ٢٤ نقرأ عن الصفات الإشارية (تقابل اسم الإشارة في العربية) والصفات العددية والصفات الملكية والصفات التعميمية adjectif indéfini. وتحت نمرة ٣٣ نقرأ "أسماء الموصولات تعد عندهم من جملة الضمائر ويسمونها بضمائر الوصل". وتحت نمرة ٣٨ وهي عن الفعل نقرأ :" قبل الدخول على تصريف الأفعال نذكر صيغ الفعل ونبين مواقع استعمال كل منها حيث هي متنوعة ومشكلة التسمية حتى يتعذر فهمها بمجرد معرفة أسمائها على اصطلاحهم، فنقول لكل فعل عشرون صيغة دالة على الأوقات الثلاثة أعني الماضي والحال والاستقبال،

وهذه الصيغ عل خمسة أنواع والتنوع عندهم في هذا الموضع يسمى عندهم mode والأنواع الخمسة les cinq modes هي أولا النوع الإخباري indicatif ..."

٢٠) وبالإضافة إلى المفردات تشهد المحادثات بمضامينها على سمات ثقافة عصر وبلد، وتشهد في هذا الكتاب المتعدد اللغات على إمكانات التداخل الثقافي. في المكالمة الرابعة مثلا نقرأ عن فنحان "شقولاطة" يعني كاكاو، ويقول المتكلم إنه يشرب الشاي مع قليل من الروم. وفي المكالمة الخامسة يقول أحدهم: أنا الآن لا أقرأ الوقائع – أنا اليوم بطلت قراءة الكازيطات. والمقصود : الجرائد أو الصحف. وفي المكالمة السادسة يقول القائل عن اللسان الفرنسي: ... لأن هذا اللسان قد انتشر غاية الانتشار بحيث أن عدم تعلمه يعد عيبا (...) وغير ذلك أدبيات الفرنسيس ظريفة ومتسعة جدا بحيث من عرف مزاياها ووقف على خفاياها لا يسأم أصلا (...) يوجد في هذه اللغة مؤلفات لا تحصى مشتملة على تاريخ سائر الملل والدول وتقدمها واضمحلالها وزوالها ومحتوية على قوانينها وأخلاقها وحكمها.

المراجع:

مصطفى ماهر :

- الترجمة من الألمانية إلى العربية، مشروع بحثي، دراسة تمهيدية باللغة العربية، مجلة أرمنت Armant العدد ١٠، ص ١-١٠، القاهرة وكولونيا ١٩٧٣
- الترجمة من الألمانية إلى العربية فى القرن العشرين بيليوغرافيا باللغة الألمانية، مجلة أرمنت Armant العدد ١٠، ص ٤٨-٥٠، القاهرة وكولونيا ١٩٧٣.
- الترجمة من الألمانية إلى العربية، دراسة باللغة الألمانية فى كتاب Dialog mit der arabischen Welt (حوار مع العالم العربي)، الأسبوع الثقافى العربي الألماني فى

توبينجن ١٩٧٤، ص ٦٦-٧٣، انظر: البيليوغرافيا "مؤلفات لكتاب ألمان باللغة العربية ومؤلفات لكتاب عرب باللغة الألمانية، بادجودسبرج ١٩٧٥، وانظر كذلك ترجمة "حوار مع العالم العربي" القاهرة ١٩٧٦، ص ٦٢-٧٩.

◆ الترجمة من الألمانية إلى العربية فى القرن العشرين، دراسة بالألمانية، في وقائع المؤتمر الدولي للجمعية الدولية للعلوم اللغوية والأدبية الألمانية، المنعقد في كامبردج ١٩٧٥ (انظر أيضا: صحيفة الألسن، العدد الرابع، القاهرة ١٩٧٦).

◆ الترجمة من الألمانية إلى العربية فى القرن العشرين، ترجمات جوته للزيات ومحمد عوض محمد، دراسة باللغة الألمانية، صحيفة الألسن العدد الرابع، القاهرة ١٩٧٦.

◆ المترجمون – أنماط الترجمة – الترجمات، دراسة بالألمانية بمجلة أرمنت Armant العدد ١٥، ص ٥٥-٥٨ القاهرة وكولونيا ١٩٧٧.

◆ بيليوغرافيا، "مؤلفات لكتاب ألمان مترجمة إلى اللغة العربية ومؤلفات لكتاب عرب مترجمة إلى اللغة الألمانية" (بالاشتراك مع فولفجانج أوله)، كتاب، ميونيخ ١٩٧٩.

◆ الترجمة من الألمانية إلى العربيةDeutsch - arabische Übersetzungen، دراسة بالألمانية نشرت في الكتاب التذكارى (معهد جوتة في ٢٥ سنة)، الناشر: معهد جوتة، القاهرة ١٩٨٣، ص ٢٤ -٢٥.

◆ الأدب النمساوي المترجم إلى العربية، محاضرة ألقيت في المركز الثقافي بالسفارة النمساوية، القاهرة في ٢٠ديسمبر١٩٨٤.

◆ فولفرام فيلس Wolfram Wilss ، كتاب: علم الترجمة، رحلة في كتاب، دراسة بالعربية، مجلة الفيصل العدد ١٠٧، الرياض، فبراير ١٩٨٦، ص ٦٧-٧١.

◆ الترجمة: محاولة لوضع النقاط علي الحروف، دراسة بالعربية نشرت في مجلة الجامعة، السنة الأولى، العدد ٣٣، ص ٦، بغداد ١٩٨٩.

◆ علوم اللغة والآداب الألمانية في مصر، بنيات وآفاق. المحاضرة الافتتاحية في "مؤتمر علماء الجرمانيات الدولي" الذي انعقد في جامعة القاهرة في عام ١٩٩١. وقائع المؤتمر في مجلة الدراسات الألمانية Kairoer Germanistische Studien العدد السادس ص٣٢-٤٠. القاهرة ١٩٩١.

- هل انتهى عصر الترجمة ؟ دراسة باللغة العربية، مجلة الهلال، القاهرة أكتوبر ١٩٩١، ص ٨٨-٩٥.
- الترجمة والتنمية الثقافية .دراسة باللغة العربية، في: وقائع ندوة "الترجمة والتنمية الثقافية" عقدها المجلس الأعلى للثقافة من ١٢-١٤مارس ١٩٩١، القاهرة، إصدار "الهيئة العامة للكتاب"، ص١١-١٨، القاهرة ١٩٩٢ .
- أنماط الترجمة من حيث تعبيرها عن التفاعل مع الغريب، بأمثلة من الترجمة بين الألمانية والعربية، بحث ألقي في المؤتمر الدولي والمعتمد على تداخل العلوم، حول محور " أشكال التلاقي الثقافي بين الشرق والغرب"، المنعقد في فاس من ٢٧-٢٩ يناير ١٩٩٣.
- يحيى حقي والترجمة، دراسة باللغة العربية في مجلة المنتدى، السنة العاشرة، العدد١١٧، دبي أبريل ١٩٩٣، ص٢٢-٢٣.
- مشكلة ترجمة الأسماء من اللغات الأوروبية خاصة من الألمانية إلى العربية، مجلة الدراسات الألمانيةKGS ، قسم اللغة الألمانية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد السابع (كتاب تكريم تذكاري مهدى إلى كمال رضوان)، ص٢١٣-٢٢٢ القاهرة ١٩٩٣.
- دور الترجمة من الألمانية إلى العربية فى نقل الثقافة اليونانية إلى العربية، دراسة باللغة العربية فى: أوراق كلاسيكية، العدد ٣، عدد تذكاري في ذكرى مرور ٣٠ سنة على وفاة صقر خفاجة، قسم الدراسات اليونانية واللاتينية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، إشراف أحمد عتمان، يناير١٩٩٤، ص١٩٧-٢٠٥
- مهام المترجم: بحث في المؤتمر الدولي الثالث للجمعية الدولية لعلوم اللغة والآداب الألمانية من منظور التداخل الثقافي GIG, المنعقد في دسلدورف ١٩٩٤/٧/٢٣.(الدراسة الموسعة تحت النشر.)
- استقبال فولتير فى البيئة الثقافية العربية الإسلامية، بأمثلة من ترجمات أعماله في مصر. بحث باللغة الألمانية ألقي في مؤتمر فولتير بجامعة زالتسبورج٢٣-٢٦نوفمبر١٩٩٤. (بحث رهن النشر.)

- مصر وعالم البحر المتوسط. الخاص والشبيه والمختلف. محاضرة ألقيت في المؤتمر الإقليمي لقدامى مبعوثي هيئة فريدريش ناومان في القاهرة في ١٩٩٥/٣/٢٦.
- استقبال فولتير في مصر من خلال ترجمات أعماله. بحث باللغة العربية في مؤتمر فولتير الذي انعقد في جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم اللغة الفرنسية في ١١-١٢- ١٩٩٥.
- حدود ما يسمى بالأمانة ومطابقة الأصل في ترجمة النصوص الأدبية. بحث ألقي في المؤتمر الدولي التاسع للجمعية الدولية للدراسات اللغوية والأدبية الألمانية الذي عقد في الفترة من١٣إلى١٩ أغسطس بفانكوفر كندا ١٩٩٥ (ملخص البحث في وقائع المؤتمر.)
- أنماط الترجمة من حيث تعبيرها عن التفاعل مع الغريب، بأمثلة من الترجمة بين الألمانية والعربية، دراسة في: مجلة الدراسات الألمانية KGS، قسم اللغة الألمانية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد التاسع ١٩٩٦. (دراسة موسعة عن محاضرة ألقيت في المؤتمر الدولي والمعتمد على تداخل العلوم، حول محور "أشكال التلاقي الثقافي بين الشرق والغرب"، المنعقد في فاس من ٢٧-٢٩ يناير ١٩٩٣، ثم في الأسبوع الثقافي بكلية الألسن في ١٩٩٣/٢/١٦
- الترجمة وعلومها. محاضرة باللغة العربية في الأسبوع الثقافي بكلية الألسن ١٩٩٧. (طبعت الدراسة في كتاب الأسبوع الثقافي بكلية الألسن الذي صدر في عام ١٩٩٨، انظر الثبت تحت عام ١٩٩٨)
- ترجمة المسرحيات الألمانية إلى العربية. دراسة ألقيت في ندوة أقامها المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٥. نشرت في عام ١٩٩٨ في وثائق الندوة.
- ترجمة الشعر الألماني إلى العربية. دراسة ألقيت في ندوة أقامها المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٦. نشرت موسعة في عام ١٩٩٨ في كتاب الأسبوع الثقافي الذي أقامته كلية الألسن في عام ١٩٩٧.

◆ عالم ثقافة البحر المتوسط: بحث ضمن أوراق مؤتمر الجمعية الدولية لعلوم اللغـــة الألمانية وآدابها من منظور التداخل الثقافي المنعقد في اســـطنبول في١٧-٢١-٩-١٩٩٦

◆ استقبال مصر في أعمال هاينه واستقبال أعمال هاينـــه في العـــالم العـــربي ودور الترجمة، في الكتاب السنوى لمعهد هاينرش هاينه، دوسلدورف . وألقيت محاضرة في ندوة بعنوان هاينريش هاينه١٧٩٧-١٨٥٦ الشاعر كوسيط بـــين الشعـــوب والحضارات عقدت في معهد جوته تونس في٢٨/١١/١٩٩٧

◆ ترجمات ألمانية لروايات مصرية. دراسة. المؤتمر الدولى عن الرواية العربية. القاهرة ١٩٩٨. نشر ضمن وثائق المؤتمر في عدد خاص من مجلة فصول- القاهرة

◆ استقبال الأدب الألماني الوسيطي في مصر ودور الترجمة فيه، في كتاب التكـــريم التذكاري Durch abenteuer muess man wagen vil المهدى إلى أنطون شفوب Anton Schwob بمناسبة بلوغـــه الســـتين، النـــاشر Innsbrucker Beiträge zur Kulturwissenschaft. Germanist. Reihe, Bd 57 إنسبروك ١٩٩٧، ص٢٧١-٢٧٦.

◆ هاينريش هاينه Heinrich Heine الشاعر الألماني الذي أحبه العرب، دراسة عن ترجمات أعماله إلى العربية، في مجلة أخبار الأدب عدد ١١/١/١٩٩٨ ص٢٦-٢٧

◆ ترجمات ألمانية لروايات مصرية. دراسة. المؤتمر الدولى عن الرواية العربية. القاهرة ١٩٩٨. نشر ضمن وثائق المؤتمر في عدد خاص من مجلة فصول- القاهرة

◆ صورة بريشت اليوم ودور الترجمة فيها. بحث في ندوة عن بريشت، عقدها المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة. تحت الطبع.، انظر كذلك "مجلة أخبار الأدب".

◆ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الألمانية طبقا للمنتخب من التفاسير. الطبعة المصرية الأولى، إصدار وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، طبعـــة كاملـــة تشمل نص القرآن الكريم بالعربية والمنتخب من التفاسير بالعربية وترجمة معـــاني القرآن الكريم إلى الألمانية، مع مقدمة شيخ الأزهر صـــاحب الفضيلـــة الأســـتاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي ومقدمة وزير الأوقاف الأستاذ الدكتور محمود حمدي

زفروق، قدمت إلى السيد رئيس الجمهورية في الاحتفال بليلة القدر في عام ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م

- "قلائد الجمان في فوائد الترجمان" تأليف خليفة محمود، أول كتاب بالعربية لتعليم الترجمة واللغات الأجنبية . (مشروع دراسات حول مدرسة الألسن. رفاعة الطهطاوي وتلاميذه). لحلة الترجمة التي تخطط لها لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة العدد الأول.
- دراسات في الترجمة والاستقبال .. فولتير بين مدرسة رفاعة الطهطاوي (محمد مصطفى البياع "مطالع شموس السير في وقائع كرلوس الثاني عشر" وهو ترجمة شارل الثاني عشر لفولتير و"الروض الأزهر في تاريخ بطرس الأكبر" و ترجمة : بيير الأكبر لفولتير.. ومدرسة طه حسين. (مشروع دراسات حول مدرسة الألسن. رفاعة الطهطاوي وتلاميذه)
- محمد عثمان جلال مترجم "العيون اليواقظ" . (مشروع دراسات حول مدرسة الألسن. رفاعة الطهطاوي وتلاميذه)
- نظرية الترجمة. تخطيط. دراسة شاملة بالألمانية نشرت في مجلة كلية التربية الجامعية في كارلسروهه، العدد ٥٠/٥١ ، عام ٢٠٠٠
- مشكلات دلالية نقل الأسماء الأعلام في الترجمة، دراسة لكتاب تكريم هوندنورشر
- مشاركة في دراسة عن كتاب عربي قديم في الحب وترجمته الإسبانية، في: كتاب تكريم أ.د. بيركهان
- ترجمات المستشرقين الألمان للأدب العربي، دراسة بالعربية قيد النشر لدى المجلس الأعلى للثقافة
- الترجمة والعالمية، دراسة بالعربية قيد النشر
- "خمسون عاما مع الترجمة" .. دراسات في الترجمة وعلومها.. بحوث مجمعة بالعربية والألمانية، تحت النشر.

◆ الترجمة حتى مدرسة رفاعة.. المفاهيم والتوجهات، دراسة ألقي ملخصها في المؤتمر القومي للترجمة .. الماضي الحاضر المستقبل، الذي عقدته الألسن في ٢٥/٢٦سبتمبر ٢٠٠٠

◆ الترجمة والتداخل الثقافي، دراسة ألقي ملخصها في الحلقة البحثية حول "قضايا الترجمة وإشكالياتها"، التي عقدها المجلس الأعلى للثقافة من ٢٨ إلى ٣١ أكتوبر ٢٠٠٠.

◆ المقصود من الثقافة (الثقافة والتداخل الثقافي) الأهرام المسائي ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٠ مسائي

◆ أقصر الطرق إلى التقدم (مؤتمرات الترجمة) الأهرام المسائي ١٧ديسمبر ٢٠٠٠

◆ مطلوب "دار المترجمين" الأهرام المسائي ٢١ديسمبر ٢٠٠٠

جاك تاجر:

◆ حركة الترجمة بمصر في القرن التاسع عشر، القاهرة، دار المعارف،ب ت

أحمد عزت عبد الكريم:

◆ تاريخ التعليم في عصر محمد علي، القاهرة، ١٩٣٨

◆ تاريخ التعليم في مصر (عصور عباس وسعيد وإسماعيل) ٤ أجزاء، القاهرة، ١٩٤٨

عمر طوسون:

◆ البعثات العلمية في عهد محمد علي، الإسكندرية ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م

أمين سامي باشا:

◆ التعليم في مصر، مطبعة المعارف، القاهرة ١٩١٧

◆ تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، القاهرة، مطبعة دار الكتب ١٩٢٨

علي مبارك باشا:

◆ الخطط التوفيقية، طبعة بولاق ١٣٠٦ هـ

جمال الدين الشيال:

- تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، القاهرة ١٩٥١
- رفاعة رافع الطهطاوي، نوابغ الفكر العربي ٢٤، القاهرة ١٩٨٠
- رفاعة رافع الطهطاوي، أعلام الإسلام، القاهرة ١٩٤٩
- تاريخ الترجمة في عهد الحملة الفرنسية، القاهرة ١٩٥١

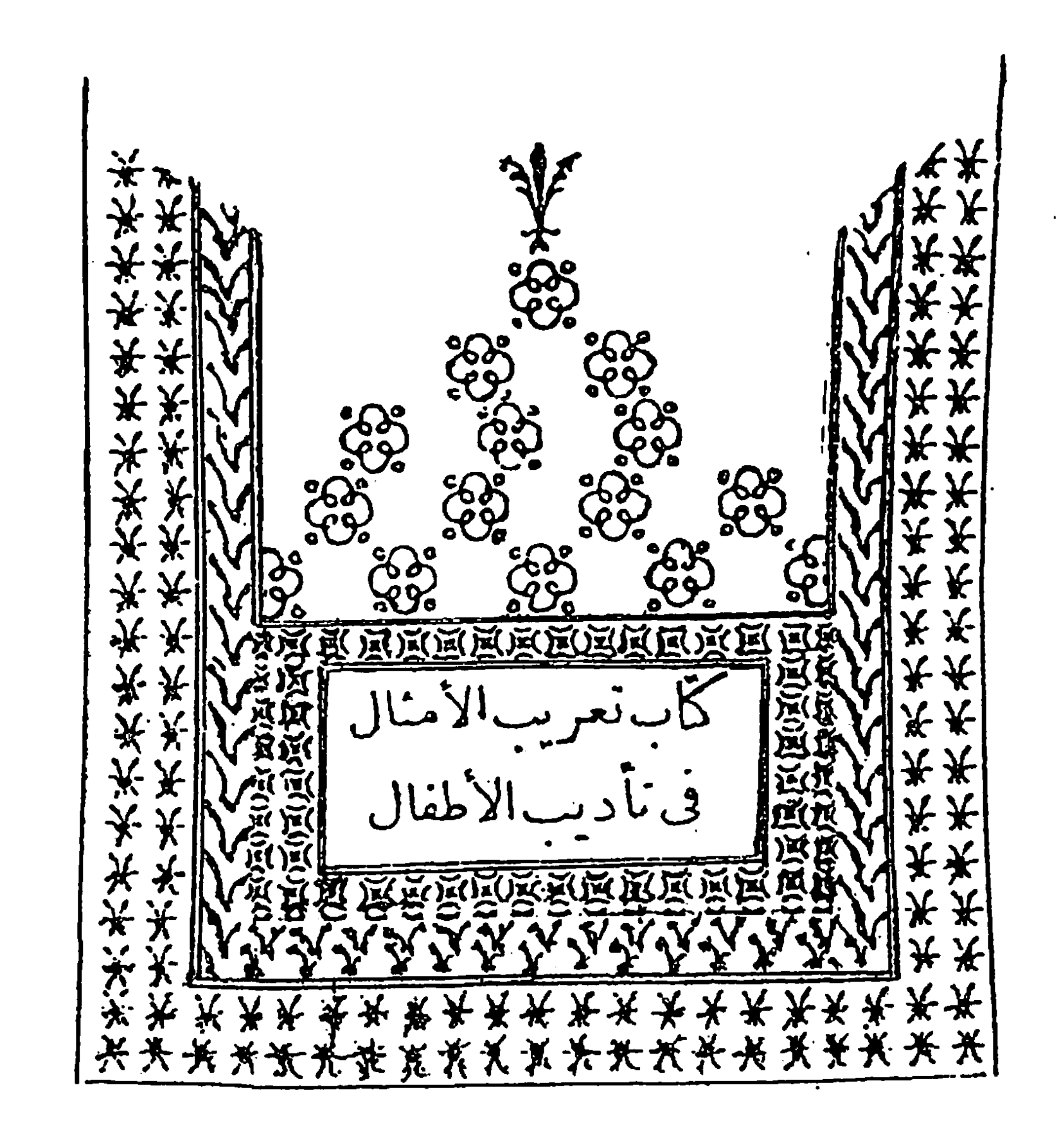
حسين فوزي النجار:

- رفاعة رافع الطهطاوي، سلسلة أعلام العرب رقم ٥٣، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة

محمود فهمي حجازي:

- أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي مع النص الكامل لكتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، القاهرة ١٩٥٨

(سجل) ندوة الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي ١٨-٢١ ديسمبر ١٩٧٦، كلية الألسن، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٨٤


كتاب تعريب الأمثال
فى تأديب الأطفال

هـــــــــــــــــذا

كتاب تعريب الأمثال فى تأديب
الأطفال ترجمه من الفرنساوية
إلى العربية الفقير إلى الله تعالى
عبد اللطيف أفندى
أحد المترجمين بقلم
الترجمة بديوان
المدارس

٢

فهرست كتاب تعريب الامثال فى تاديب الاطفال

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

كتاب تعريب الأمثال
في تأديب الأطفال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل مقدار التربية والأدب * معيار عقول العجم والعرب * والصلاة والسلام على كامل الآداب النبوية * الذي أحسنت تأديبه الحضرةُ العلية * وأنطقته بالحكم والأمثال * والإشارات المناسبة لمقتضيات الأحوال * وعلى آله آل المروءة والفتوة * وأصحابه أصحاب البأس والقوة * وبعد فهذا تعريب الحكايات والأمثال

الموضوعات

الموضوعات لتأديب الأطفال * عرّبه الفقير عبد اللطيف *
بتعبير في التعريب على عقول الأطفال لطيف خفيف *
وكان ذلك برأي حضرة أدهم بيك مدير المدارس * وإن
شاء الله تعالى يكون لتربية الأطفال من أحسن المغارس *
وكان تصحيحه بهذه المثابة * على يد حضرة رفاعة أفندي
ناظر قلم الترجمة أجزل الله ثوابه * ادخله تغييراً في العبارة
والقالب * وبدّل منه المطالب * ونظم مضمون كل حكاية
في بيتين * فتمت أربعين بيتاً في نحو ساعتين * سهل ألفاظها
على الأطفال * لما انه لكل مقام مقال * وأعقبه بخاتمة
لطيفة من النثر والنظم * ليكون نفعه أعم * وليناسب
طبيعة البلاد والأهالي * فجاء راقيا أعلى رتب المعالي * وسماه
تعريب الأمثال * في تأديب الأطفال * والله المسئول أن
ينفع به الأطفال والصبيان * وأن يبقي لنا ولي النعمة وأنجاله
على ممر الأزمان * وهو مرتب على عدة حكايات

الحكاية الأولى قصة أحمد وتسمى إتحاف
الصبي والديه بأطرف تحفة

كان لبعض الناس ولد يسمى أحمد وكان هو ووالدته يبذلان
الجهد في تربيته فوضعوه في كتّاب عند مؤدب الأطفال ليقرأ
القرآن ويتعلم الخط وكان أحمد غضا كثير الرغبة في التعلم

فاتفق ذات يوم أنه قال لمؤدبه أن العيد قد قرب ولم يبق إلا هذا الشهر ويدخل العيد وأريد فى ظرف هذه المسافة أن أتعلم القراءة فى الكتب والأوراق حتى إذا أعطانى أبى أو أمى عيدتى أتحفهما أيضاً بتحفة ظريفة وهى إدخال السرور عليهما بقراءتى أمامهما شيأ فى الكتب ليعلما أن سعيهما لازال مشكوراً * وليكون جزائى عندهما موفوراً

وكان هذا الصبى لم يبلغ من العمر إلا ست سنوات فتعجب مؤدبه منه غاية العجب وقبله بين عينيه وتوسم فيه إمارات الفتوح ووعده بأن يجتهد معه على قدر الإمكان ويبذل همته فى تعليمه ولكن كان أحمد لا يعول فى الشغل إلا على نفسه لعلمه أن مؤدبه ليس مخصوصاً به حتى يستمر دائماً على تعليمه لأن مؤدبه كان عنده من الأطفال نحو الثلاثين فجعل أحمد يطالع مع مؤدبه متى وجده وإذا غاب عنه طالع فى الكتب وحده كأنه كبير السن إلا انه كان إذا خفى عليه شئ سأل عنه رفقاءه وفهمه منهم وعلقه فى ذهنه ولازال على قدم راسخ فى الاجتهاد فما أتى يوم العيد عليه إلا وهو يحسن القراءة فى أى كتاب كان

فلما هنى أباه وأمه بقدوم العيد عليهما وهما بخير وسلامة وتمنى لهما العود إلى أمثاله قرأ عليهما صحيفات فى كتب

متعددة من غير توقف ولما فرغ من قراءته عانقهما وقال لهما قد اجتهدت غاية الاجتهاد ليحصل لكما مني غاية السرور في يوم العيد وهذا هو غاية أمنيتكما فوقع ذلك عند والديه بموقع عظيم وأخذتهما الشفقة عليه حتى سال دمع كل منهما وضمه كل من أبيه وأمه إلى صدره وقال له يا عزيزي نعم إنه لا يمكن أن تفعل شيأ يسرني أعظم من ذلك إلا إذا عرفت ما يجب عليك من الواجبات في حق المخلوق والخالق وأديت ذلك حق الأداء فإن هذا يكون أعظم تحفة منك لنا فإن شاء الله تعالى تجتهد أيضا في ذلك غاية الاجتهاد * لتبلغ بذلك نهاية المراد * وتكون عندنا أعز الأولاد * وفي هذا المعنى قيل

اقرّ عيني والديك تغنم * لا سيما في العيد أو في الموسم
وإن ترم سرور أم أو أب * يوما فكسب العلم خير مكسب

الحكاية الثانية دعد نفيسة هانم وهي بنت صغيرة بلغت من العمر أربع سنين وأحبها الناس أجمعون

كان لبيت من الشتات تسمى دلال هانم بنت صغيرة تسمى عديلة هانم وكانت قليلة الأدب كثيرة الضحك بغير سبب تتثاءب في المجالس بأعلى صوتها وتمر أمام الحاضرين المرة بعد الأخرى بدون اعتناء وتتخطى رقاب الجالسين ولا تسلم على أحد لا صباحا ولا مساء وتكثر اللغط والغاغة وإذا رأت أناسا

جالسين على أسرّة أوكراسى تركب على أخشابها وتدنو منهم لتسترق السمع ولا تسأل بالاعما لا يعنى ودائماً تدخل فى الفضول وبالجملة فكانت قليلة التربية كثيرة الوقاحة حتى أن صويحبات أمّها كنّ ينفرن منها كل النفور ويجتنبن الاختلاط معها ومع ذلك فكانت نفسها عليها عزيزة ترغب فى أن يألفها جميع الناس لكن لا تفعل شيأ مما يستميل القلوب ويؤلفها فاتفق أنها كانت ذات يوم من الأيام فى بعض المتنزهات فرأت بنتاً صغيرة يلاطفها كل من وقع بصره عليها ويظهر لها البشاشة وحسن الملاقاة فأخذت عديلة منها الغيرة وقالت أى وصف فى هذه البنت أوجب أن جميع الناس يداعبونها ويتحفونها بأنواع الملبس والحلوى والفواكه والأثمار

فقالت أمها يابنتى أنا أخبرك بخبرها هذه البنت يقال لها نفيسة هانم بلغت فى اللطف الغاية * وفى الأدب النهاية * كثيرة الطاعة والامتثال * مألوفة عند النساء والرجال * يكاد أبوها وأمها يطيران بها فرحاً وهى بذلك جديرة * لأن فضائلها كثيرة ومزاياها عزيزة * فكيف لا وهى فى صبيحة كل يوم * عند القيام من النوم * تثنى على المولى بجميل الثنا * من نفسها من غير تعب ولا عنا * ولا اهمال ولا ونا * ثم تلبس ثيابها

وتنظف بدنها من غير أن يحصل منها كالصبيان بكاء أو صياح * بل تبدو بشاشة وجهها الصبيح فى الصباح * وفى أثناء النهار تسلك مسالك التواضع فى حركاتها وسكناتها وأحوالها وأطوارها وقد اعتادت على أن تصبح وتمسى على أبيها وأمها وقت الصباح ووقت المساء وإذا صحت والديها أخذت ما عندها من الاشياء المعدّة للعب الصغار كالعرائس الصغيرة ونحوها لتلعب بها ولا تجرى فى أروقة الدار كالصغار ولا تتكلم فيما لا يعنيها ولا تدخل مدخل الفضول ولا تقف بين المتحادثين تسترق السمع * حتى تستحق الصفع * فتراها مدّة النهار فرحة منشرحة على نهاية من اللطف ودماثة الأخلاق * والطاعة والوفاق * وهى الآن فى مكتب البنات * تفسر الكتابة وتقرأ خطوط النسخ والطباعات * ولا تفارق أمها مدّة النزاهة * ووقت الفسحة والفكاهة * والرياضة البدنية * والجمعيات البلدية * ولا تفعل إلا ما تؤمر به نظيفة البدن والثوب خفيفة الظل تغسل قبل الأكل وبعده يديها تقدّم يمناها على يسراها ولا تلعب بالطين ولا بالتراب * ولا تجلس على الأرض بدون فرش حتى تتسخ منها الأثواب * وليست متعوّدة على العوائد الذميمة كوضع يدها على أنفها بل تزينها دائماً نظيفة الأنف بدون أمر من أحد أبويها بذلك فهى دائما

مواظبة على النظافة * متخلقة بأخلاق الظرافة * مؤدبة مداعبة وجميع الناس يحبون عن مواساتها وملاطفتها فهي محبوبة عند الخاص والعام فهذا هو السبب فيما تشاهدينه يا ابنتي من حب الناس لنفيسة هانم

وكان في عديله هانم ذكاء وفطنة فترجت من والدتها أن تعرفها بهذه البنت الكاملة لتصطحب معها وتنقل من طباعها وتقتدي بها وتكون مثلها محبوبة عند الناس فذهبت بها والدتها إلى نفيسة هانم وعرفتها بها فوقعت بينهما المحبة والألفة * وسقطت من بينهما الكلفة * فاقتدت عديله هانم بنفيسة هانم في جميع الأفعال والأحوال فعما قريب صارت مثلها محبوبة مألوفة ولا غرابة في ذلك لأن التربية الحسنة إذا كانت بصدق نية * وخلوص طوية * تزيل العيب * وتذهب الريب * ما لم تكن المثالب غريزية * في نفوس دنية

* وفي هذا المعنى قيل

من رام عند الناس طراً أن يحب * فليلتزم حسن السلوك والأدب
وأن يكون طيب السريرة * مهذب الأخلاق زاكي السيرة

(الحكاية الثالثة قصة مصطفى العفيف)

(وتسمى قصة الصبي القنوع)

كان في قرية من القرى لبعض الأهالي ولد صغير يسمى

مصطفى وكان متكامل البدن ظريف الشكل نضر اللون بشوش الوجه سهل الأخلاق مألوفاً محبوباً فيه رأفة ورحمة وإنسانية ومروءة وكان إذا أعطاه أهله شيأ من الفواكه لا يأكله إلا مع أحبابه وأقرانه من الصغار أو يطعمهم شيأ منه

فاتفق ذات يوم أنه حضر إلى منزل أبيه إنسان من كرام أهل المدينة وأتى معه بملبس وفطيرة كبيرة فلما رأى مصطفى هذه الأشياء اللطيفة شخص ببصره إليها وألقى نظره عليها فأعطاه ذلك الرجل الملبس ففرح لأخذه فرحاً شديداً يجل عن الوصف ثم هش لشدة ما داخله من السرور حين قال له صاحب الفطيرة هذه لك يا مصطفى

فلما أخذ من الرجل الفطيرة والملبس وكان وقتئذ يثقل عليه حملهما ذهب فوراً إلى أبويه فقالا له أهذا لك يا مصطفى فقال نعم فقالا افعل به ما بدا لك وكان والده يعلم منه طيب النفس وشيمة الكرم فأشار إلى الشخص الذي أعطاه ذلك أن يلاحظ ما سيصنع بالعطية ثم أنه بمجرد ما أذن له بالتصرف في العطية كما يشاء بادر بالذهاب ليبحث عن رفقته الصغار فاجتمع عليه نحو ستة غلمان ففرق عليهم هذه المأكولات اللذيذة بالسوية ولم يبق منها لنفسه إلا جزأ كواحد منهم لكنه أكبر

وكان مما يسر الخاطر ويروق الناظر رؤية هذه الجمعية المؤلفة

من الأطفال الذين كان الواحد منهم ممسكاً بإحدى يديه كسرة كثيرة من الفطيرة وباليد الأخرى ملبساً يذوب فيها من الحرارة

وكان مصطفى يتميز من بين هؤلاء الصغار بأن ما كان بيديه أكثر مما بيدي غيره وهو قائم بإكرامهم على المائدة ومع ذلك لم يكن تعلم دروساً في الأدب إلا أن طيب نفسه وحسن طويته وكون هذه الخصال فيه من أصل الفطرة كان أنفع له من ذلك بكثير فكان يشتغل بإكرام أحبابه مع غاية اللطف والبشاشة وكان يظهر عليه غاية السرور إذا رآهم فرحين مسرورين بل كان ذلك أعظم الحظ عنده

فلما رأى صاحب العظمة ذلك من مصطفى حصل له منه غاية السرور والفرح وواساه كثيراً بالكلام ووعده انه حين قدومه من سفره الآخر يأتي له بمثلها

فانظر إلى ما يكتسبه الأطفال المتصفون بالقناعة المجردون عن الشره من محبة الناس لهم ومواساتهم إياهم وإهدائهم لهم الحلوى بخلاف من كان خالياً من الصغار عن هذه الصفة فإنه إما أن يحرم من ذلك بالكلية أو لا يصله إلا القليل

وفي القناعة قيل شعر

من رام بين العالم ارتفاعه * فليلزم العفة والقناعه

هل ذل عند الناس عبد يقنع * أو عز سيد لديهم يطمع

(الحكاية الرابعة قصة صفية)
وهى قصة العيدية التى يتحف بها الأطفال
يوم العيد الكبير أو الصغير

كانت ست من الستات يقال لها خديجة هانم ولها بنت تسمى صفية هانم كانت ظريفة الشكل * محبوبة عند الأحباب والأهل * إلا انها كانت تحب اللعب والبطالة والكسل * ولا تميل إلى الشغل والتولع ببلوغ الأمل * فقالت لها أمها يا صفية أنت دائماً مائلة إلى اللعب ولا أجدك تسريني يوماً من الأيام بشغل المنسج والطراز * وتذهيب المناديل العزاز * فكيف تعلمين الخياطة والتطاريز * وقد بلغت من العمر عشر سنين والوقت عزيز * وعما قريب يلزم أن تتعلمي شيأ غير ذلك * وأنت لا تفكرين فيما هنالك * فأطلب منك يا ابنتي أن تتعودى على الجلوس على فرشك للشغل عدة ساعات كاملة من النهار * لتحسني هذه الصناعة كغيرك من البنات الأبكار * فإذا كنت تحبيني فابحثي عن فعل ما يسرني من الامتثال والطاعة * حسب الطاقة والاستطاعة * فإن أنت فعلت ذلك نلت كل الخير * وكفيت كل الهم والضير * لأن الأم لا تريد لأولادها إلا اصلاح الشان * واجتناب

ماشتان

وكانت صفية هانم تحب أمّها كثيراً فأثر عندها قولها ان كنت تحبيني فابحثي عن فعل ما يسرّني من الامتثال والطاعة وكانت كلما تذكرت هذه الكلمات اجتهدت وأخذت في هزم كسلها لتظهر مودّتها لأمها وصداقتها وامتثالها فكانت تذهب إلى المكتب وتجتهد في الكتابة والقراءة والحساب حيث أن ذلك تحتاج إليه في صنعتها فلما جاء أوان الشروع في تعلم التطريز والتوشية والزركشة بذلت أيضاً همتها في الشغل زيادة عما حصل منها أيضاً في التعليم بالمكتب وأرادت أن تقيم برهاناً لأمها على أنه قد صلح حالها عما كان * وتغير طبعها في أقرب أوان * فسلكت في ذلك طريقة حسنة * قريبة مستحسنة * وكانت سيدة المكتب تعلّم أيضاً صنعة التطريز فقالت إن في كيسي ستة ريالات وأريد أن تصنعي معي جميلاً وتشتري بها شاشاً رفيعاً لأشتغل لأمي طرحة وأطرّزها لها وأتحفها بها يوم العيد لأن العيد قد قرب ولم يبق له إلا ثلاثة أشهر فلعلي إذا اجتهدت في هذه المدّة اشتغل هذه التحفة وأقدّمها لأمي في هذا اليوم

فبادرت معلمتها إلى إجابتها واشترت لها الشاش حكم مرامها وأعانتها على هذا المقصد الجيد الصادر عن الغيرة

والاجتهاد

والاجتهاد * من بنت صغيرة السن تريد بلوغ المراد * من صميم
الفؤاد * بخلوص نية * وصفاء طوية * فاشتغلت صفية هانم
الطرحة * وبعد تمامها حصل لها غاية الفرحة * ثم أعطتها
للمعلمة لتصلحها غاية الإصلاح * لتدخل على أمها يوم العيد
المسرات والأفراح * فلما أقبل يوم العيد السعيد لفت هذه
الهدية في ورقة ظريفة ووضعتها على فراش أمها فلما قامت
أمها من النوم رأت هذه البقجة اللطيفة على فراشها
فاستحسنت ما فيها وقالت من الذي أتحفني بهذا الإتحاف
وكانت صفية هانم أيضاً قد لبست ملابس العيد * وبادرت
عند أمها للتعييد * فلما سمعت من أمها هذا الكلام * ألقت
نفسها في حضنها وسكرت من لثم والدتها بدون مدام * وظهر
عليها خجل الاحتشام * فاستشعرت والدتها بأن صفية * هي
ربة الهدية * فعجبت غاية العجب * وطربت كل الطرب *
وخامرها من السرور والفرح * ما أجرى دموع المسرة
لا الترح * وصارت تكثر في بنتها اللثم والتقبيل * وقلبها يخفق
من الانتعاش الباطني وهو على الفرحة الفجائية دليل * فلما
سكن ما في القلب من الخفقان * وارتاحت الأعضاء وهدأ
الجنان * وانطلق بالكلام اللسان * قالت يا ابنتي ما أحضرته
لي من الهدية اللطيفة * والصنعة الظريفة * عوض علي

الآن * ما بذلته في تربيتك والمنة للمنان * رزقك الله السعادة والهنا * وبلغك بمعارفك ووفور عقلك المنى * ولا زلت قابلة للزيادة * فاجتهدي فبالاجتهاد ينال المرء ما أراده * وأما أنا يا بنتي فلا أحب الحياة إلا لأحظى بما يجدد لك من الخيرات * ولا أطلب أكثر من ذلك لنفسي إلى الممات

فمضى هذا اليوم على صفية هانم وهي في غاية الفرح والسرور * لما توسمته فيها أمها من أن تجارتها لن تبور * وكانت تقول هذه الأم المشفقة * التي صارت عندها نجابة بنتها محققة * لكل من أتى عندها هذه الطرحة الجميلة التطريز * شغل بنتي صفية وليس عندي مثلها عزيز * وقد خطر ببالها أن تكافئ بنتها على هذه الهدية البهية * لتستمر على بذل الهمة في البكرة والعشية * فأعطتها عقداً من الدر الثمين * كانت تتشوق نفس صفية إلى أخذه من قبل ذلك الحين * ويقال أن هذه البنت اشتهرت في بلدتها غاية الاشتهار * بأنها بارة بأمها مجتهدة في إرضائها آناء الليل وأطراف النهار * تقبل منها النصيحة * وتبرهن على الطاعة والامتثال بالبراهين الصحيحة * ومما قيل في هذا المعنى

إن رمت أن تشوق الأولادا * وأن ترى من نجلك اجتهاداً

فعده بالاتحاف يوم العيد * وقدم الوعد على الوعيد

الحكاية

(الحكاية الخامسة قصة اسحاق)

(تتضمن أن الجاني يُعاقَب على جنايته ولو في الدنيا)

كان في بعض البلدان امرأة تسمى مريم ولها ابن يسمى اسحاق * يميل إلى عقوقها وكثرة الشقاق * وكان بجوارها بيت لشخص يقال له يحيى وفيه بستان جميل * مشحون بالفواكه العديمة المثيل * وكان اسحاق يتسوّر جدارانه * ويركب حيطانه * ويسرق أثماره * ولا يرعى لجاره جواره * فكانت تقول له والدته في غالب الأحوال الحذر ثم الحذر أن تستمر على أخذ شيء من بستان جارنا يحيى لأن الله تعالى يعاقبك على ذلك وبذلت الهمة في أن توقع في قلبه الخوف من المولى تبارك وتعالى حيث كان لا يخاف منها ولا يسمع كلامها وأيضا كان يقضي غالب أوقاته خارج المنزل فلا تعلم أمه بما يعمل فلما وعظته اجتنب بستان يحيى مدة فصل الربيع مع أنه كان لا يؤمل منه ذلك لأنه كان لا صبر له عليه بل كان لا ينتظر الأثمار تنضج فكان يأكلها قبل استوائها عند بدو صلاحها وكان يملأ بيته منها إلا أنه امتنع من حين خوّفته والدته عن بستان يحيى

والظاهر أنه كان مصمما على أن يستمر على ذلك لولا أنه قام به شيء حمله على اختلاس أثمار بستان جاره وإلا لما أخذ منها شيئا

انما ظاهر بما أخوفته أمه وذلك انه كان يحب النبق محبة شديدة ولم يكن في بستان أمه نبق أصلاً بخلاف بستان يحيى فكان يوجد فيه النبق بكثرة وكان اسحاق كثير التردد على هذه الاثمار وكانت كبيرة الجرم جيدة اللون والشكل يسر الناظر برؤيتها فكان كل ما رآها تأسف على مجرد اقتصاره على النظر إليها * بدون أن يضع يده عليها * أو يذوقها بلسانه * أو يمضغها بأسنانه * وتصل الى جوفه * وهذا من شدة خشيته من الله تعالى وعظيم خوفه * مع انه كان أسهل الأشياء عليه * أن يمد إلى تلك الاثمار يديه * ويأخذ منها ما يشاء بغاية السرعة * ولا يراه يحيى ولا يعرف أصل المأخوذ ولا فرعه * حيث أن يحيى في غالب الأحوال غائب عن البستان * إلا أن الترهيب ملك من اسحاق الجنان * فلما اشتد شوقه إلى أكل النبق * وتمكن عنده الشره وبه اعتلق * وطال عليه المطال * واشتد به الوجد والحال * قال في نفسه إن ما قالته لي والدتي انما هو عبارة خالية عن الجدوى * تخوفني بها حتى تمنعني الفاكهة الحلوة وتقول لي خف من عالم السر والنجوى * وإلا حلت بك البلوى * ومالي والتخويف الذي يمنعني لذيذ الطعام فلا أسمع من الآن فما عدا من والدتي عظيم كلام

ولا زال اسحاق يلهج بذلك حين السرقة ويقول تخويف

إنما هي من قبيل الخرافات ومثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن شرار الأولاد الذين لا يبرّون الوالدين ولا يحترمونهما ولا يقدّمون خوف الله أمامهم فتزل منهم القَدَم ويندمون حيث لا ينفعهم الندم

فمن ذلك تساهل اسحاق وجهله الشره وعدم قبول النصيحة على سرقة النبق من بستان يحيى وأعقب ذلك الفضيحة وذلك أنه ذهب في آخر النهار مختفياً بحذاء جدار البستان ثم تغافل الأعين ووثب وثبتين صعد بهما في الجدار إلى أعلى مكان ومن أعلى الجدار صعد الشجرة

وكان قد عزم عند صعوده على أن يأخذ قليلاً من أثمار هذه الشجرة على وجه السرعة ويذهب لحال سبيله ولو اقتصر على تنجيز ما نواه لخرج من المحل سليماً ولكن سبق القضاء والقدر بعقابه والانتقام منه فخطر له أن يمكث على الشجرة مدّة طويلة ليأكل من أثمارها على مهله ثم يملأ جيوبه

فاتفق أن الخلاء الذي به البستان كان به جماعة صيادون قد رجعوا من الصيد والقنص فرأى أحدهم أرنباً برّياً قريباً من بستان يحيى فرماه بالبندقة وكانت الرمية بجانب المحل الذي كان فيه اسحاق فحصل له لكونه صغير السنّ رجفة شديدة أفضت به إلى السقوط من أعلى الشجرة إلى أرض

البستان مغشياً عليه فأحس يحيي بوقعته فهرول إليه ظناً
انه فريسة رماها الصيادون فوقعت فى البستان وأنه يغنمها
فإذا هى غلام غائب عن الوجود عديم الحس والحركة فتأخر
عنه نحو قدمين ووقع فى نفسه أنه فى حيز الأموات إلا أنه صبر
عليه لحظات فأفاق فذهب به يحيى إلى بيت أمه وكان اسحاق
قد تغير حاله واصفر لونه فلما وقع عليه بصر أمه حصل لها
انزعاج عظيم غير أنه عما قليل ظهر لها أن أكثر تغير حالة ولدها
إنما هو من الرجفة والخوف لا من ألم السقوط فلما خف ما به
وسكن روعه واطمأن وذهب من كان عنده ولم يبق معهما
ثالث قالت له متهكمة أتريد يا اسحاق أن تعود إلى سرقة النبق
من بستان جارنا يحيى فقال لها يا والدتى قد تبت ورجعت
عن ذلك وعزمت على أن لا أعود لمثلها لأن الله تعالى
قد عجل لى العقاب فى دار الدنيا ولك علىّ عهد وميثاق
أن لا أعود لمخالفتك بعد هذا فاقتفت أمه أثره فإذا هو
قد حسنت توبته ولم يعد إلى مثل هذه الفعال القبيحة والله
الموفق عباده إلى الصواب * وإلى اجتناب المعاصى المسبب
عنها العقاب فى الدنيا أو فى يوم المآب * فكثيراً ما ترى
الصغار والكبار مصابين بالأمراض فى دار الدنيا عقوبة
معجلة لهم من الله تعالى على ما ارتكبوه من المعاصى والفسوق

اذالم

إذا لم يرجعوا عن الذنوب والقبائح * ولم تنفعهم المواعظ والنصائح * فهذا هو السبب الحقيقى فى حلول أنواع البلايا بهم * فى أرواحهم وأبدانهم * بل ربما كان ذلك أيضاً موجباً لقلة البركة فى العمر وفى قصر الأجل * فالعاقل العاقل من كان من الله جل وعلى على وجل * وفى هذا المعنى قيل شعر

يعاقب الجانى بما جناه * وذاك فى دنياه أو عقباه
والظلم لا يتركه المولى سدى * مآل كل ظالم إلى الردى

(الحكاية السادسة)

تتعلق بنظافة الثوب والبدن وإزالة الوسخ والدرن

كان لامرأة بنتان إحداهما تسمى عديلة هانم والثانية تسمى نظلة هانم وكانت أمهما والناس جميعاً يحبون الثانية أكثر من الأولى فأخذ عديلة هانم الاستعجاب من ذلك وقالت لامها يا أمى إنى أرى جميع الناس رجالاً ونساء يحبون أختى أكثر منى مع أنى مؤدبة فى حق الجميع وإذا قابلت من أعرفه بدأته بالسلام من نفسى بدون أن يأمرنى أحد بذلك وإذا بدأنى أحد بالسلام * أجبته مع الأدب التام * وإذا تكلم اثنان لا أقطع كلامهما * ولا أدخل بينهما * ولا أكثر المرور أمام الحاضرين وإذا خرجت معك وذهبنا لزيارة الأهل والأحباب * لا أطلب الطعام ولا الشراب * وإذا لعبت

مع أمثالى تجنبت الصياح والقباعة وبالجملة فأنا فى سائر
أحوالى وأطوارى محترسة على قدر الإمكان التام * مؤملة
بذلك أن أكون محبوبة عند الخاص والعام * نعم أن اختى
هى أيضاً مثلى فى ذلك كله إلا انها لم تفضل علىّ فى شئ ومع ذلك
فهى صاحبة حظوة ولها فى القلوب ودّ عظيم فلا أجد موجباً
لذلك غاية ما هنالك انى أقول لعل ذلك لكون سنها سبع سنوات
وأنا عمرى ست سنوات فقالت لها أمها هل عندك غيرة
من اختك يا بنتى فقالت لا يا أمى أنا أحبها كثيراً ولا أغارمنها
فى شئ لأنها لطيفة الذات حسنة الأخلاق جميلة الصنيع
وإنما أغبطها على ذلك وأتمنى أن أعامل بمثل ما تعامل *
وأقابل بالبشاشة من الجميع كما تقابل * فقالت لها يا عزيزتى
تريدين أن تعرفى ما يكرهه فيك الناس من الأشياء التى
تنفر الطباع * وتلحق الأكابر بالرعاع * هو قلة نظافة البدن
والثياب * فإن ذلك لنفور النفوس أعظم الأسباب * أو ليس
أن من خصالك الذميمة * وأحوالك الغير المستقيمة * أنك
بمجرّد لبسك ثوباً نظيفاً يتسخ و يمتلأ بقعاً من الدهن وغيره
ووجهك دائماً عليه امارات الاتساخ * ويداك تعلو عليهما
الأوساخ * فما دمت على هذه الحالة * لا يضمك إلى صدره
أحد بلا محالة * أو ما علمت أن ألطف صغير فى الدنيا إذا اتصف

بالوساخة نفرت منه النفوس وسئمت ثم أن اختك نظافة لم تزد
عليك في الجمال واللطافة * إلا انها على غاية من النظافة *
وهذه الصفة ترجح على سائر الصفات في الأولاد * بل الصغير
الذميم الصورة ربما صار بها مألوفا بين العباد * فاقتدي
باختك تنالي محبة القلوب باسرها * واتخذي النظافة ديدنا
تفهمي خفي سرها
وكانت عديلة هانم أبية النفس كريمة الطبع يشق عليها أن
تكون مهجورة منعزلة وحدها لا يواسيها إنسان من الأجانب
* ولا يباشيها أحد من الأقارب * فصممت على أن تجتنب
أسباب ذلك كل الاجتناب * وأن تتشبث كاختها من النظافة
بأقوى الأسباب * فمن وقت ما سمعت كلام أمها شرعت
في البعد عما يتسخ به بدنها أو ثوبها فكانت إذا أحوجتها
الضرورة أن تمس شيأ بيدها تبادر عقب الفراغ من ذلك إلى
غسلها ولا تضع أصابعها على أنفها أو رأسها أصلاً ولا تبصق
على الأرض وإذا تثاءبت لا تتثاءب بصوت يزعج الحاضرين
بل تضع يدها أو منديلها على وجهها وكانت تأكل وتشرب
بغاية من الأدب لا سيما إذا كانت في ضيافة مع أمها
عند الأجانب وبالجملة فصارت تفعل كما يفعل بنات الأمراء
المؤدبات أحسن التأديب والتربية وآل أمرها أن حسن

حالها وزادتها النظافة لطافة فصار في أقرب وقت ميل الناس
لكل من الاختين على حدّ سواء فبذلك عاد على عديلة هانم
منفعة عظيمة ولو تكلفت في ذلك بعض مشقة إلا انها كوفئت
على ذلك بمودّة من يعتدّ به من الناس لها ومداعبتهم إياها
وكذلك من يسارع إلى التشبث بأسباب النظافة * ويخرج
من حيز الكثافة إلى اللطافة * وفي هذا المعنى قيل شعر

من رام أن يكتسب اللطافة * عليه طول الدهر بالنظافة
فإنها من شعب الإيمان * تطلب في الثياب والأبدان

(الحكاية السابعة قصة محمد)

وهي قصة الغضب المؤدّي إلى ارتكاب الجناية

كان في بلدة من البلدان رجل من كبار الفلاحين وأرباب
الزراعة يقال له محمود فرزق بولد يسمى محمداً كان طيب القلب
سليم الباطن فوضعه أبوه عند مؤدّب الأطفال يعلمه القراءة
والكتابة وكان له استعداد وميل لذلك ورغبة عظيمة فلا زال
يتقدّم على التدريج شيأ فشيأ وكان يمتثل وينقاد إلى
ما يأمره به أبوه ويسلك في أحواله سبيل الرفق واللين إلا انه
كان فيه قسوة طبيعية افسدت جميع أوصافه الحميدة وذلك
انه بعد أن بلغ من العمر خمس سنوات أحب أن يعمل بمقتضى
رأيه وأن لا يخالف ما تسوّله له نفسه فكان يضرب الناس

على

على أدنى شيء بما يجده أمامه من عصى أو غيرها وكان في بعض الأحيان مع صغر سنه وضعفه يحصل منه الضرر العظيم وكانوا قد تساهلوا أولاً في شأنه ولم ينظروا إلى حدته وغضبه ولم يؤاخذوه على ذلك فلما رأوا أنه لا زال كل يوم يزداد في ذلك وأن عدم مؤاخذته محض تفريط حكموا عليه في أول أمره بعقوبات خفيفة فلم يبال بها ولم ينزجر أبداً بل اغتاظ وحنق حنقاً شديداً فتأثر والده من كونه لم يمكنه أن يزيل عن ولده هذا العيب الخطر فبينما هو كذلك إذ أشار عليه رجل من أهل الفضل بنصيحة مضمونها أن وسائل الملاطفة قد مضى أوانها وأنه ينبغي للوالد أن يغتنم أول فرصة تبدو له لتؤثر في عقل ولده تأثيراً عظيماً يرسخ في ذهنه ولا يمكن إزالته منه أصلاً فعما قليل عرضت للوالد هذه الفرصة التي أراد انتهازها

وهي أن ابنه كان قد جرح أحد اخوته بسكينة ولم يزل قابضاً على السكينة التي جرحه بها والواقع أن المشاجرة التي أوجبت إسالة الدم هي من أجل هذه السكينة وذلك أن أخاه أراد أن يأخذها منه فجرحه بها فلما علم أبوه بذلك دنا من الولد فوجده ممتلئاً من الغيظ وأخذ منه السكينة قهراً عنه وأراد أن يربط يديه فتعاصى على أبيه وعبس في وجهه وأظهر له

القساوة والجبر واشتد به الغيظ والحنق واعترته الحماقة الشديدة وصار لا يعى لنفسه وتجاسر على ضرب أبيه فوقف أبوه باهتاً متحيراً وظهر على الحاضرين الذين شاهدوا هذه الفعلة القبيحة الرعب والخوف وأخذوا فى الهروب حتى لم يبق منهم أحد وصار كل إنسان يقول ما أقبح سلوك هذا الغلام حيث رفع يده على أصل وجوده فما أعظم هذا الذنب وأكبره فتعجب محمد من نفور قلوبهم منه ومن تشنيعهم عليه وذهابهم من عنده واحداً بعد واحد وكان ينظر لجميع الناس بالتؤدة والتأنى يتأمل حالهم ليعرف منهم ما يعتقدونه فيه وازداد تعجبه إذا رأى نفسه وحيداً منفرداً عن الناس لا يطيقه إنسان * ولا يقرب منه أحد من الاخوان * فصعب ذلك عليه * وكبر لديه * فرجع أبوه بعد مضى نحو نصف ساعة وأتى بقاضى البلدة وكان محترماً مكرّماً عليه زى أكابر القضاة فامتلأ المجلس حالاً بمشاهير البلد فقال محمود للقاضى ياسيدى إن هذا الولد ولد مشؤم يتبع هوى نفسه وغضبا حتى انه كل يوم يترتب على غضبه ضرر عظيم يتعدّى للغير وفى هذا اليوم جرح أخاه ولا يمكنى أن أحكى أو أتفوه بما وقع منه غير ذلك لأنى كلما أردت أن أنطق به لا يساعدنى لسانى لقبح ذلك وكتمانه أولى من إعلانه فهل يمكننى أن أقول انه

تطاول

تطاول على أبيه ورفع يده عليه فصار الحاضرون في المجلس يكررون هذه العبارة وهي تطاول على أبيه ورفع يده عليه وينطقون بها وشعرهم يقف من ذلك وقد داخلهم الفزع فقال القاضي يا محمود أنا أتأسف عليك من جهة كونك قد ولدت هذا الولد العاق * الجاحد لنعمة المنعم الخلاق * طبع ولدك هذا يخالف طباع البشر * وأنا مقاسمك غمك من هذا الغلام الذي هو كالبهائم بل أشر * لكن قد أديت الواجب عليك حيث رفعت إلى الشرع الشريف قضيته * كيف يرفع يده على أبيه أو يجرح أخاه ولا يرعى لحق الأبوة والأخوة حرمته * فلا بد من عقابه بما يقتضيه ذنبه العظيم * وأشار إلى أعوانه أن خذوه وأعتلوه إلى سواء الجحيم * فأخذه الأعوان * كأنهم زبانية النيران * وهو يطيل البكاء والعويل * وذهبوا به إلى سجن وكنزوه به كنز مال البخيل * فلما رأى السجن مسدود الطيقان * وأبصر العبوس في وجه السجان * غشي عليه بعدا حتجابه * وغاب عن رشده وصوابه * ففعلوا ما به أفاق * ووضعوه في حاصل في السجن خال عن الأحباب والرفاق * ورتبوا له جراية المسجونين * وأجروا عليه حكم المحبوسين * ومكث يومين كاملين وهو على هذا الحال * يذوق مرارة المر حتى نسي حلاوة الحال * ثم أقاموا دعواه

وأجروا التحقيق والتدقيق * فوجد أنه بضرب السياط حقيق * فقضوا بذلك القضاء * وحكموا بأنه إن عاد إلى ذلك وسبق عليه بالشقاوة القدر والقضاء * يسجن بالسجن مدة حياته * ولا يخرج منه إلا للرمس بعد وفاته

فلما انحط الرأى على ذلك القرار * وضعوه فى السجن يومين لا يخرج منه آناء الليل ولا أطراف النهار * ثم ذهب به فظ غليظ من أجلاف أهل الأرياف لأجل العقاب * فأذاقه العذاب * وبعد أن تم هذا التعزير * أحضره هذا النذير * أمام القاضى * الذى كان عليه غير راضى * فشن عليه غارة اللوم والتوبيخ * وقال له تنكر إساءة الأدب وكيف تخفى روائح البطيخ * وخاطبه على قدر عقله * ونهاه عن ارتكاب القبيح وفعله * ثم خلى سبيله * وأرسله إلى أبيه فعاد إليه مريضا قليل الحول والحيلة * فعالجوه نحو أسبوع من غير أن يذكر له ما جرى وفات * لأنه لا حاجة إلى ذكر مثل هذه الهفوات * التى لا تنسى فى وقت من الأوقات * وكان يخشى أن يعمل ما يتولد عنه تذكار تلك الفعلة الفظيعة * واجتنب الغضب الموجب للقطيعة * واستمر على الطاعة والأدب * وبر والديه بلغ نهاية الأرب * وفى هذا المعنى قيل شعر

وشر أوصاف الفتى هو الغضب * يفضى إلى ارتكاب ما لا يرتكب

فباله

فياله من خصلة ذميمة * في تركها مصلحة بجسيمة

(الحكاية الثامنة قصة وسيلة هانم)
وهي البنت الصغيرة التي كانت قوية الرأس

كان في بعض البلدان ست من الستات تسمى فاطمة هانم ولها ابنت تسمى وسيلة هانم صغيرة السن دائماً فوقة بدادتها وكانت هذه البنت الصغيرة تحب اللعب بالرسم والتصوير فبينما هي ذات يوم أمام طرابيزة مشتغلة بتصوير بيوت وأشجار وأشياء أخرى لطيفة من هذا النوع بالقلم والحبر وكان هذا ابليها في لعبها فطلبتها أمها لتلبس ثيابها النظيفة وتخرج معها للنزهة وقالت لها يا بنتي اذهبي إلى دادتك لتلبسك ثياب الزينة لتخرجي معي إلى المدينة * فقالت البنت لأمها من غير أن تنتقل من محلها ولا تتحرك اصبري يا أمي على برهة * وبعدها ألبس ونذهب إلى النزهة * فقالت أمها قومي البسي في الحال * فإني حاضرة متجهزة للانتقال * ولا يصح التأخير * ولا يصلح التقصير * فقالت البنت اتركيني أتمم تصوير الشجرة * فقالت أمها اتركي التصوير ولا تخالفي بدون ثمرة * فإن لم تذهبي لتغيير الملابس * وإلا أخذتك بثيابك الوسخة في النزهة والمجالس * فلوت البنت وجهها أقبح التواء * وقالت لأمها هذا عندي

على حد سواء * فاجابتها أمها وهى غضبى * اتركى هذا الشغل البطال وتأملى فى العقبى * فليس لك خير من الامتثال * لتتصفى بصفات الكمال * فلما رأت وسيلة هانم أنها مجبورة على ترك أشغالها الفارغة حصل عندها حنق عظيم ودفعت المحبرة بشدة وعنفوان فانقلب الحبر ووصل إلى ثيابها ولوثها تلويثاً عظيماً فلحقها الخجل من هذه الفعلة القبيحة * وأسرعت إلى دادتها لتغير هذه الاثواب بثياب نظيفة مليحة * فلم تمهلها أمها لقضاء هذا المرام * بل دعتها إلى الخروج معها حالاً ولم تقبل منها كلاماً فى هذا المقام * وضربت صفحاً عن كونها مكترثة بأثوابها المبقعة * وما رقت لدموعها وأخذتها فى التنزهات على الصورة البشعة

فحصل لهذه البنت الصغيرة الخزى من ذلك * وصارت عبرة للناظرين فى الطرق والمسالك * وهى لا تقدر ترفع رأسها إذا قابلت البنات المتزينات بأعظم زينة * وندمت كل الندم على مخالفة أمها ولم تجد لها معينة * وصارت كل ست من الستات * تسأل عن سبب تلويث هذه البنت من بين البنات * وتشك فى كونها بنت فاطمة هانم فإنها صاحبة مال عظيم * ونسب قديم * فلا تبخل على بنتها بمآكل ولا ملابس * ومن عرف أنها بنت فاطمة هانم يتيقن أنه لابد من حاصل

حصل * ولازالت العيون شاخصة إلى هذه البنت مدة النزاهة * وأمها تغضى عنها وتستمر على ماهى عليه من الفكاهة * حتى رجعت إلى المنزل * وهى عن إكرامها بمعزل

وفى أثناء المسافة والنزهة لم تفه البنت بكلمة * بل دموعها مسترسلة منسجمة * فبمجرد أن وصلت الدار * قبلت أقدام أمها واستجارت من هذا العار * وأظهرت التوبة والندم * وأنها تركت العصيان ولا عادت تفعل فعلاً يوجب الذم * فلما رأت أمها منها أنها تأثرت بما جرى * واعتبرت اعتباراً مثله لا يرى * ضمتها الصدرها * وصارت تعظها فى شأن أمرها * قائلة لها يا بنتى ماذا يكتسب عاق والديه * إلا تراكم الهموم والغموم عليه * فلا تعصى لى أمراً * بل الزمى طاعتى سراً وجهراً * يحسن حالك بين جميع الناس * فبر الوالدين للأولاد أعظم قاعدة وأساس * عليه مدار التربية والتأديب * وتحسين الأخلاق والتهذيب * ومحبة القريب والغريب * وبالجملة فبر طاعة الوالدين عجيب * من أطاع الله والوالدين * اطاعه كل شئ فى الخافقين * وقيل فى هذا المعنى شعر

وقوة الرأس مع العناد * من أقبح الخصال فى الأولاد

والامتثال صفة جليلة * للود ليس مثلها وسيلة

(الحكاية التاسعة)

تتضمن أنه لا ينبغي للولد الصغير أن يكتم شيأ عن أبيه وأمه

كان في قديم الزمان اختان يقال لإحداهما نفيسة وللأخرى زهرة فاتفق أنهما اختلتا ببعضهما ذات يوم من الأيام واعتقدتا أنهما وحدهما وأخذتا في اللعب المعتاد * ولم تريا أمهما التي كانت مختفية تشاهد حال البنتين عند الانفراد * فصارتا تلعبان لكن كانت نفيسة على غاية من الخفة والنشاط * تميل إلى الغاغة كالأخلاط * تصعد على المساطب والدكك والكراسي * وتهزها ولو كانت كالجبال الرواسي * فيحصل من ذلك قعقعة عظيمة * وتصويت يزعج أرباب الأمزجة السليمة * فعند جريها في الأوضة كالمجنونة * عثرت في سلطانية من الصيني فكسرتها قطعاً كثيرة وكانت عن الكسر مصونة * فترتب على ذلك أن ابطلتا اللعب في الحال * وحصل لكل منهما خزي ونظرتا إلى المآل * ووقعت بينهما المداولة في شأن إخفاء هذا الذنب عن الوالدة * وشرعتا في البحث عن طريقة في ذلك تكون فيها فائدة * فأبدت كل منهما ما رأته من الصواب * مما يخرجهما من حيز العقاب والعتاب * فقالت زهرة ينبغي أن نقول أن القطة هي التي

كسرت السلطانية * فتخرج بذلك من ورطة هذه القضية *
فقالت نفيسة لا يصح ذلك ولا يجوز مني * لأني إذا نطقت
بذلك تغير بحمرة الخجل لوني * فتعرف أمي كذب المقال *
وتسأل عن حقيقة الحال * فقالت زهرة الأولى لنا أن نرمي
قطع السلطانية في محل بعيد * فتنسى أمنا ذلك ولا يحصل
منها سؤال ولا تشديد * وبهذا نكتفي عذاب التوبيخ
واللوم * في هذا اليوم وغير هذا اليوم * فقالت نفيسة
أما أنا فكتمان شيء عن أمي لا يكون * بل لا بد أن أطلعها
ولو على السر المكنون * فالأحسن أن أخبرها بالحقيقة *
فالأم لا زالت على بنتها شفيقة * ولا شك أنها تعاملني بالصفح
لا الصفع * وأنها تقبل عذري إذا وعدتها بتغيير هذا الطبع *
ثم قالت لأختها يا زهرة إذا كنت أنت كسرت هذه السلطانية *
هل تسلكين مسالك الكذب والفرية * فقالت زهرة
لا أكذب على أمي لأجل نفسي وإنما لخوفي عليك عرضت
ما عرضت * ولو كان لأجل نفسي ما فعلت ولا كذبت *
فقالت نفيسة كذلك أنا لا أحب الكذب عليها * ولو جعلتني
ذليلة بين يديها
وكانت أمهما معاينة لما جرى * وسامعة للمحاورة بين بنتيها
بدون مراء * فخرجت من باب السر بحيث لا تشعر بها واحدة

من الاثنتين * ودخلت من الباب الكبير المعتاد على البنتين *
فسلكت زهرة مسلك إخفاء قطع السلطانية * وحجبتها عن
عين أمها حتى لا تصير مرتبة * بخلاف نفيسة فإنها دنت من
أمها غاية الدنو * وحنت أمها عليها غاية الحنو * حيث أخذت
تقبل يدها وهي تقول * بغاية الذل وأمها تسمع كلامها
بالقبول * يا أمي قد كسرت السلطانية بدون اختياري *
فأطلب العفو وقبول اعتذاري * وبينما هي مرخية عنان
الكلام * إذا انهطلت دموعها انهطال الغمام * حيث انها
رأت في وجه أمها أنها تظهر التأثر بذلك * ولا تبدى
في المسامحة ما يدل على ما هنالك * فعند ذلك سلكت زهرة
مسلك التحيل والمداهنة * وطلبت الصفح عن اختها نظراً
للحال الراهنة * ونالت الصفح الجميل * وترك الغضب والتنكيل
* ثم شرعت أمهما تتكلم معهما بالرفق واللين * وتعظهما
بما فيه صلاحهما في الدنيا والدين * وتقول لهما يا بنتيّ
ينبغي لكما حيث بلغتما هذا السن أن ترغبا في الاشتغال
بالمصالح المنزلية * وتختارا لأنفسكما ألعاباً تليق بصالح
الذرية وأوصيكما أن لا تنسيا أنه ليس للولد أن يكتم عن والديه
شيأ وأن يصدقهما في مقاله فان الكذب ولو لحاجة جيدة
كفعل الجميل مع التخريب يعد من العيوب * ويحسب من

الذنوب * فلما سمعت نفيسة وزهرة من أمهما هذا الكلام تعجبتا كل التعجب ثم قالت أمهما لهما لا يليق أن ادلس عليكما بجهلكما جميع ما تتكلمان به واقول انى كنت غائبة وعلمت ذلك بل انما كنت متجسسة عليكما فى الأوضة التى بجوار المحل الذى كنتما تلعبان به وجئت من باب السر لأجل أن تقرا بما قلتما فتمدحا عندى بذلك وما حصل منى لكما انما هو من باب النصيحة لكما لكى تسلكا فيما بعد أحسن السلوك لأن الإنسان وإن أمكنه بعض الأحيان أن يخفى أفعاله عن المخلوق إلا انه لا يمكنه كتم ذلك عن الخالق علام الغيوب فيجب على كل انسان أن يسارع فيما فيه رضاه لانه وحده * هو الذى يجازى عبده * بما فعل من سيئة أو حسنة * فليتبع الإنسان فى سلوكه الطريقة المستحسنة * وقد قيل فى كتم السر عن الوالدين شعر

مما يعد من صفات الذم * كتم الصغير عن أب أو أم
بسر أحقيراً أو جليلاً بل يجب * ابداؤه عنهما لا يحتجب

(الحكاية العاشرة)

(تتضمن أن الله تعالى بصير بكل شئ)

كان فى بعض البلدان رجل كسار عاقل وكان من دأبه أن لا يضر أحداً ولا يسلك مسلك الأذى ولا الغيبة والنميمة وكان

باراً بوالديه موفياً لهما بما يجب عليه فى حقهما وكان له ولد يقال له خليل أحسن تربيته لا تعليمه وكان يعظه ويرشده إلى ما فيه صلاحه فى معاشه ومعاده فقال له مرة من المرات إذا قدمت خوف الله تعالى وقمت بما عليك من الواجبات فى حق الوالدين تنظمت فى سلك أهل الصلاح والخير فقال خليل أما بر الوالدين فكونه فرضاً على ظاهر وأما خوف الله تعالى فلاى شيء أقدمه دائماً فقال له أبوه أما تعلم أن الله تعالى هو الخالق لجميع الكائنات من إنس وجن وسماء وأرض وشمس وقمر ونجوم وبر وبحر وهو ربك ورب أبيك فهو موجود بصير عليم بذات الصدور وما تعملوا من شيء يعلمه الله فهو علام الغيوب فمتى فعلت شيأ ولو كنت فى باطن الأرض فإنه يعلمه فيعاقب على السيئة العقاب الشديد فيابنى لا تفعل الشر فإن ربك لبالمرصاد يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ولا زال يكرر الوعظ عليه كل يوم بصوت ترق له القلوب حتى انتقش فى قلبه الخوف من المولى جل وعلا ولما كبر سن خليل وصار مقتدراً على العمل والكد دخل فى خدمة فلاح من بلدته يسمى علياً فأناطه برعى الماشية فاتفق ذات يوم أن شخصاً من الأغنياء أتى ضيفاً عند ست من الستات كانت ساكنة بدار فى هذه البلدة فخرج يتسلى بالصيد

والقنص في الخلاء حوالي البلدة فرأى خليلاً وتأمله فاستحسن
شكله وهيئته فأراد أن يمازحه ويداعبه فأخفى بندقيته التي
كانت معه للصيد في شجرة ودنا من هذا الشاب الصغير وهو
يرعى ماشيته وقال له خادم من أنت أيها الولد فأجابه خليل
قائلاً أنا عند علي وتحت النظر فقال له وما اسمك فقال عبدك
خليل فقال له أنت ترعى الماشية فهل عرفت مقاتلة الذئاب
فقال نعم يا سيدي وقد تصارعت البارحة مع ذئب وأدخلت
يدي في حلقه فقال له إن هذا الشيء عجيب فإذن أنت من أشجع
الشجعان هل يصح أن تبيعني من هذه الغنم نعجة وتأخذ ثمنها
ريالاً فقال له يا سيدي إن هذه الغنم إنما هي غنم سيدي علي
فاسأله في ذلك لعله أن يبلغك سؤلك فقال له اغنم هذه الدراهم
مني وقل لسيدك إن الذئب قد افترس مني نعجة فقال له إن
قلت ذلك كنت كاذباً فأعاقب على الكذب والاختلاس فقال له
ومن ذا الذي يعاقبك ولم يطلع على ذلك أحد غيري فقال إن
الله تعالى على كل قدير شهيد وهو معكم أينما كنتم فتعجب من
حسن استقامته * وصدقه وأمانته * ومما رآه فيه من حسن
التربية والأدب ومع ذلك فأراد أن يقف على حقيقة الحال
فتغالى في ثمن النعجة وخليل يمتنع ويدحضه بالحجة ولم يمكنه
أن يستميل خليلاً بوجه من الوجوه بل صار خليل يحتج بخوف

الله تعالى ومراقبته والخشية من عقابه وعذابه الأليم بنار الجحيم ورزقه الله التوفيق للأمانه * والحفظ من الخيانة فعند ذلك أمسك الرجل عن الإلحاح * وعلم أن هذا الولد من أهل الصلاح * لاسيما بالنظر لصغر سنه حيث كان لم يتجاوز عشر سنوات * فتمكنت ألفة الرجل من هذا الولد الذي هو من عجائب أهل الأمانات * وصار الرجل في جميع المحافل يذكره بخير ويثني عليه * وأوصاه بأن يستمر على خوف الله تعالى ليفوز من النعيم بمباديه

ولما رجع من الصيد إلى دار الست قص عليها قصص هذا الغلام * وأثنى على خليل بحسن الثناء وتمنى له البقاء على ذلك والدوام * حتى رغبت ربة الدار في أن تراه * فلما حضر بين يديها قالت بسم الله ماشاء الله * ولما استنطقته نطق بالأجوبة الصحيحة * والعبارات الفصيحة * فاستحسنوا أن يضعوه عند مؤدب ليعلمه القراءة والكتابة * فبكى خليل وقال أرجع إلى أبي فقد علمني آدابه * فقال له ضيف الست كيف تؤثر رعي الغنم * على التعليم بالقلم * مع أن هذا يكون لك وسيلة تعين بها أباك * فالعجب كل العجب من امتناعك عما فيه هداك * فتنفس خليل الصعدا * وأكثر مما عراه تنهدا * وقال أريد أن أرجع إلى أبي * فهو مهذبي ومؤدبي * وهو الذي يحسن أدبي *

فإذا كبرت سنا أشتغل لأنفق عليه * والآن لا أريد فراقه
وأنا صغير السن بل الأحسن لي أن أكون بين يديه
فأخذت الرأفة سيدة الدار * وأثر عندها طيب نفس هذا
الغلام البار * وأحضرت اباه الكسار * واستخدمته
في أملاكها من أرض وعقار * فبهذا صار الأب والابن
في خدامة متقاربة المزار * لا يفترقان آناء الليل وأطراف
النهار * فانظر كيف جلب الولد الموفق بواجباته * إلى أهله
وعشيرته نعم الله وخيراته * وقد قيل في المعنى شعر

الله مبصر لما تعمله * يعلمه لكنه يمهله
فقر فعل صالح الأعمال * تحز صلاح الحال والمآل

(الحكاية الحادية عشرة)

(قصة عثمان ومحبوبة وهي قصة الأولاد في الغابات)

اتفق أن رجلا يقال له ابراهيم ذهب هو وامرأته وولداهما
وهما عثمان ومحبوبة إلى الريف بقصد الإقامة فيه ثلاثة أشهر
مدة اجتناء الكروم وكان عثمان قد بلغ من العمر تسع سنوات
وكان بارا بأبيه إلا انه كان يعد بالطاعة ولا يفي وإذا بعد عن
والديه نسي ما كانا نهياه عنه فكان يقول له أبوه يا عثمان
إذا كنا في الفسحة والنزهة فكن قريبا منا ولا تغب
عن الأبصار * لانه ربما حصل لك نكبة وعجزت عن الانصار *

وكذلك كانت الأم تقول لبنتها مثل هذا المقال وتنهاها عن دخول الأشجار والغابات * خوفاً من الذئاب والوحوش الكاسرات * وهيهات أن ينفع ذلك هيهات

فكان عثمان واخته لا يفارقان والديهما مادام العنب على كرمه والثمر على شجره وأما إذا جنى الكرم وقطعت الفواكه وسقطت على الأرض لا يمكن حجزهما عن ذلك ولا التزامهما لوالديهما بل متى خرجا من منزلهما ركضا كالخيل الفارة بحيث لا يسمعان نداء أبيهما ولكن كان عثمان أشد ذنباً من أخته لأنه هو الذي كان يغريها على ذلك ويأخذ بيدها ويذهب بها هائمة لا تدري أين تتوجه وكانت لا تعرف البلاء إلا بعد الوقوع والنزول فيه وكثيراً ما قال ابراهيم لابنه عثمان إني أراك تبعد كل البعد عني وأخشى أن يعرض لك من الأخطار والبلايا * ما لا يقدر أن ينقذك منه إلا رب البرايا * وكان عثمان أيضاً منخفض الصوت بحيث إذا وقع في ورطة وصاح * لا يسمع له نداء ولا صياح * فكان أبوه يخشى عليه الضرر * ويعظه فما اتعظ ولا اعتبر * بل كان يقول لأبيه أي شيء يخشى منه في الغابات * فإني ما رأيت شيأ بها حين التوغل من المزعجات * وإن كنت تخشى أن أضل عن الطريق * ولا أجد الدليل ولا الرفيق * فإني طالما اهتديت بعد أن ضللت السبيل *

بدون خبير ولا دليل * فقال ابراهيم ياولدي إنك عاص
جسور * لا تصدق قول أبيك في مثل هذه الأمور *
فأسأل الله أن لا يبتليك بشيء يحملك على الندم الذميم *
ويعصمك من وساوس الشيطان الرجيم * ولكن لا أقل
من كوني آمرك أن تترك أختك عند أمها * لتنقذ نفسك
من همها * فإن تصبك مصيبة فلا تكون شريكة لك فيها *
وأخف الضررين خير في طريق السوء لمن يقتفيها * فلم يجد
معه هذا الكلام نفعاً * ولا قال لوالديه طاعة وسمعاً *
بل أصرّ على ما كان عليه * حتى حصل له ولأخته حادثة
مهولة صارا بعدها يسمعان نصح أبيهما ويميلان إليه

وذلك انه اتفق لعثمان انه خطر له أن يذهب إلى ناحية من
الغابة كان لا يعرفها وصمم على ذلك في سرّه فدبّر حيلة
ليتخلص بها من أبيه فقال يا أبي إني ذاهب لألعب مع أختي
في تلك الجهة مشيراً إلى جهة غير الجهة التي كانا يريدان
الذهاب إليها فجلس ابراهيم وامرأته واخذا في الاشتغال
بالقراءة وكانا يسمعان صوت عثمان واخته ولكن كانا يظنان
أنهما يلعبان على مسافة نحو خطوتين وانما هما محجوبان
عن رؤيتهما بالزروع فحصل لعثمان غاية السرور حيث نجح
في غش والده وأراد أن يتمتع بجميع حريته ويفوز بها فانطلق

وهو قابض دائماً على يد أخته ولم يسلك الطريقة المطروقة فبينما هو هائم كذلك اذا امتلأت السماء بالسحاب وسمع دوي الرعد فنزل المطر منثرا كأفبكت محبوبة وتندم عثمان على مخاطرته وعزم على الرجوع بعد ارتفاع المطر الغزير فمكث منتظرا تحت شجرة وداري اخته على قدر إمكانه وكان هذا قريب الغروب فبقيا حتى أقبل الليل فأخذت حيوانات الغابات تخرج من أماكنها فعرف عثمان زئيرها على اختلاف أصواتها ولغاتها فلحقه من ذلك رعب شديد غير أنه سكت حتى لا يصل إلى اخته رعب من ذلك وقصارى أمره أنه بقي على هذه الحالة حتى فرغ المطر فتحير في أمر الرجوع ولم يدر بأي طريق يرجع فإن كلا منهما كان لا يعرف أي جهة توصل فتحيرا كل الحيرة وضلا كل الضلال فمشيا حيثما اتفق وابتلت ثيابهما وأبدانهما حتى كاد الماء يدخل في عظامهما وتجرحت أيديهما وأرجلهما من شوك الغابة وكان عثمان يتحمل مشاق هذه الآلام * ويتجلد لمتاعب هذه المضار العظام * وانما اشتد الحال على محبوبة اخته فأبدت التألم والأنين * حتى صار يسمع لصياحها طنين * فأقبل قطاع الطريق على سماع صياحها فأبصر عثمان هؤلاء الرجال * فاشتد به الحال * وخر مغشيا عليه * فجردوه هو

واخته

واخته من الثياب ولم يمل قلب أحد منهم إليها ولا إليه * وتذللا غاية التذلل والخضوع * وأكثرا العويل وإرسال الدموع * ثم ذهبا حتى عثرا على الطريق * ووصلا إلى أبيهما فوجداه في فريق من الهم وهما في فريق * فرأى أبوهما أن هذا العقاب الذي حصل لهما كاف عن القصاص * وبقيت حكاية قصتهما عبرة لغيرهما بدون مناص * وفي هذا المعنى قيل شعر

من يعص والديه ضل وندم * وساء حاله وللرشد عدم
وضاع سعيه وخاب أمله * مالم يتب فلا يسوء عمله

(الحكاية الثانية عشرة)

حكاية حسنة وحسين وهي قصة التعفف في حالة الفقر والفاقة

كان في بعض البلدان غلام اسمه حسين وله اخت اسمها حسنة وكانا فقيري الحال وكان أبوهما بستانياً فمات وتركهما صغيرين فأرادا أن يذهبا إلى مدينة قريبة من بلدتهما ليبحثا عما يكتسبان منه قوتهما وكان حسين قد بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة فأراد أن يبحث عما يقتات به هو وأخته وكانت حسنة اخته أصغر منه بكثير ومع ذلك أحبت أن تبحث أيضاً عن شغل تشتغل به كأخيها ومن الغريب انه لم يخطر ببال حسين ولا اخته أن يسلكا مسلك التكسب

من المسألة والشحاذة وهما على حالة سيئة تحوج إلى ذلك
فكانما حدثتهما نفسهما أن الشحاذة من الأمور المخجلة
وفيها اراقة ماء الوجه وأن المسئلة مذلة لاسيما من الشاب
سليم الأعضاء قوى البدن وأن غنى النفس هو الغنى الكامل
ومن أعظم الفضائل وقد يقسم الله بعض أفضاله على عباده
بالسوية بينهم بدون شرط حسب ونسب فكثيراً ما ترى
عند أرباب الخمول * منحة العقول والفضائل بدون فضول *
والهمم العالية * والنفوس السامية
وعند ذهابهما إلى المدينة لم يكن عندهما أمتعة ولا دراهم
ولا مؤنة وكانت المسافة مسيرة خمسة عشر فرسخاً ففي أول يوم
دخل عليهما الليل وهما في غابة من الغابات فمكثا تحت شجرة
وناما مطمئنين كما هو عادة من كان سليم القلب فقير الحال بعد
أن جنيا من أثمار هذه البرية ما يسد الرمق ويذهب ألم الجوع
فلم يحملا هماً ولا تذكرا ضيماً وكان الباقي من المسافة سبعة
فراسخ في اليوم الثاني وكان حسين قد نام كثيراً فقام
مستريحاً نشطاً وأما حسنة فلما قامت من نومها وجدت
نفسها في نصب وتعب وكان الباقي من الطريق سهلا مطروقا
أكثر مما مضى إلا أن الأرض كانت محلة قليلة الثمار
ليس فيها عظيم جدوى لحسين وأخته فكان لا يوجد بها

عشب من الأعشاب المأكولة ولا غير وكانت تأبى نفسهما
أن يدخلا فى البيوت التى على الطريق لطلب أى شئ كان بل
كان إذا قابلهما أحد نظر إليه بنظرة الحياء واستمرا فى سيرهما
مع الصمت ولكن اشتد الجوع بحسنة حتى كادت تموت
فلم تجد حيلة إلا الدموع فصار يسليها أخوها بقدر إمكانه
فلما اشتد تعبها ولم تقدر على السير حملها على ظهره مسافة ربع
فرسخ حتى تعب أيضاً ووقع بها على الأرض
ثم قام بها هذا الولد ذو الهمة العالية * والمروءة السامية *
من غير تشك ولا تضجر وتمم أن يحملها يائساً فلم يستطع فما شعر
هذان الشخصان إلا وهما بقرب قصر عظيم كان صاحبه
يذهب فى أغلب أوقاته إلى المدينة وكان قد قدم منها منذ ساعة
وكان البواب مشغولاً بأشغال فى داخل القصر فترك جميع
الأبواب الداخلية مفتوحة وكان صاحب القصر يتنزه
فى البستان وكانت خدمه يهيئون له طعاماً عظيماً
فلما وقع بصر حسين وأخته على هذا القصر تعجبا من زخرفته
وحسنه فقربا منه وكان مرامهما بتأملهما لهذا القصر
العظيم أن يسليا أنفسهما على ما حل بهما من التعب والنصب
فلما لم يريا به أحداً خطر لهما الدخول فيه فاجتازا الدهاليز
ودخلا قاعة الأكل وكان بها دواليب كثيرة فرأيا فيها أثماراً

عظيمة مصفوفة على هيئة الأهرام وعدة رغفان من الخبز العلامة لم يسبق لهما رؤية مثل ذلك ووجدا من أنواع الحلوى والأشربة ما يشرح الصدر ويجلب الشهية فجعلا يتأملان هذه الفواكه العظيمة كأنها نادرة الوجود ومع ما بهما من الجوع الشديد غلبت عليهما القناعة والعفة فلم تسمح نفسهما بالقرب منها إلا أن حسينا كان يتمنى لأخته شيأ من ذلك تسد به رمقها وبينما هما يتأملان هذه الأشياء الموجودة فى تلك القاعة التى لم يريا نظيرها أصلا إذ نظرا قريبا من المحل الذى كانا فيه قفة مملوءة خبزا صغيرا فدفعت حسنة أخاها وأرته اياه تخشى أن شدة الجوع تحمل أخته على أن تأخذ منه شيأ فقبض على ذراعيها وجذبها إلى خارج فسقطت على عتبة الباب مغشيا عليها

وكان صاحب هذا القصر قد اقتفى أثر هذين الولدين من غير أن يرياه فلما رأى منهما العفة والأمانة والاستقامة رغب لهما فى الخير وبينما هو يفكر فى نفسه ويبحث عما يكون به النفع لهما إذ عرض لحسنة الحادثة السابقة فحملته على اغاثتها فما زال بها حتى أفاقت وسألهما عن خبرهما فقصا عليه قصتهما بالصدق وما لحقهما من التعب فأثر ذلك فى نفس هذا الرجل كل التأثير وأخذته الشفقة عليهما فأخذهما تحت

كنفه وتكفل بشأنهما وعاشا في أرغد عيش وفي هذا المعنى
قيل شعر

وعفة الشريف عند الفقر * وصبره لعسره مع شكر
خير فضيلة عليها يحمد * يعقبها اليسر ويبقى السودد

(الحكاية الثالثة عشرة)

حكاية ولد طيب يسمى حسنين

كان هذا الولد تميل إليه قلوب الناس من وقت طفوليته وكان يتوسم فيه من ذلك الوقت بشائر التودد لوالديه وطلائع المحبة لهما ومن يلوذ بهما فبمجرد ما عرف أمه ومرضعته أظهر لهما كمال المحبة فكانت إذا غابت عنه يسيرا من الزمن سالت دموعه وظهرت عليه علامات الغم وإذا رآهما بادرت عليه لوائح المسرة ثم بعد ذلك ميز أيضا أباه ثم جده ومال قلبه إلى محبة الجميع من قبل أن يتكلم وهو في حالة المناغاة وصارت أيضا دادته محبوبة له أكثر من غيرها من الناس حتى انهم إذا أرادوا تخويفه هددوه بأن يأخذوها منه ثم انه ذات يوم من الأيام أظهر لها المودة أكثر من العادة فقال له بعض الحاضرين على قبيل الهزل والمزاح انك متى كبرت سنا ذهبت دادتك غصبا عنك فأثر فيه هذا الكلام واغتاظ غيظا شديدا وصاح ودموعه على خده تسيل قائلا لا أريد أن أكبر فكان هذا

يسلي والديه تسلية عظيمة

ولما كان هذا الغلام وحيد أبيه وأمه ولم يكن عندهما غيره وكان ظريف الشكل جميل الصورة محبوباً لأهله متودداً كان يجلب لهم السرور ويزيح عنهم الأحزان ويسليهم وإذا حصل منه بعض طيش خفيف تكلموا معه بكلام غير عنيف ولا يجازونه على أي شيء كان ولا شك أن هذه الرأفة إنما هي ناشئة عن سلوك هذا الغلام مسلك الصدق وصفاء الباطن وخلوص الطوية لأنه كان مع صغر سنه لا يكتم الحق أبداً فكان إذا ارتكب ذنباً اعترف به من غير تعلل ولا محاولة وكان اعترافه دائماً بالطوع والاختيار وكان يسكن غضب أهله بامتثاله لهم وبتندمه على ما وقع منه فكانوا يصفحون عن زلاته * ولا يؤاخذونه بهفواته

وكانت محبته لأبيه وأمه تمنعه عن أن يقصر في تأدية شيء من واجباتهما فكان بمجرد قيامه من النوم يؤدي حق الله تعالى ثم يبادر بالذهاب إلى أبيه وأمه فيعانقهما وبمجرد ما عرف تفسير الخط والقراءة في الكتاب صار يأخذ كتابه من تلقاء نفسه من غير احتياج إلى حث على ذلك كغيره من الغلمان وإنما كان يكفيه أن يقال له أحسنت القراءة والكتابة وسررت أبويك فيأخذ عند سماع ذلك كتابه كأنما هو

شاب

شاب كبير أثر فيه ذلك فتقبله أمه بين عينيه في نظير إظهار
الطاعة والامتثال

ولما كبر سنه وتقدم تعليمه أعطاه أبوه بعض أشعار ليحفظها
فاتفق انه بعد أن أخذها من أبيه دعاه بعض أصحابه ليلعب
معه فأشار إليه حسنين بالخروج من غير أن يكلمه وأراه كتابه
فأراد صاحبه طيارة لطيفة يلعب بها الصبيان ليستميله بها
فأخذته عند ذلك الحمية وقال له اذهب عني فإني إذا تركت
درسي ولعبت أغضبت أبي ولا يكون لعبي إلا على غير
مرادي ولا يفرحني فلما سمع منه صاحبه هذه الكلمات
خرج من عنده فغلق الباب دونه ولم يفتحه إلا بعد أن وفى
بأشغاله

وكان أن هذا الولد كان متوقفا بالمطالعة محبا للقراءة قاصدا
بذلك إدخال السرور على والديه في كل وقت من الأوقات
كان أيضا ينتهز أي فرصة كانت في إظهاره لهما دلائل المحبة
وإمارات المودة فكان يظهر لهما الطاعة فيما يأمرانه به من
أول كلمة ينطقان بها خوفا عليهما من الغم أو المرض وكان
لا يعهد منه ميل إلى شهوات النفس ولا يتراأى عليه أصلا أنه
يركن إلى المخالفة والعناد وكان يتجنب ما ينشأ عنه اللغط
واللغاغة في المنزل وخارجه مما يزعج الحاضرين ويضيق به

ثقيلا بغيضاً عند الناس وكان مركوزاً فى ذهنه أن ألعاب
الصبيان التى تحدث الغاغة واللغط لا يطيق سماعها أكابر
الناس وقد أعطاه بعض معارف أبيه طبلاً فأتى به إلى أمه
وكان من عادتها مداعبته فى بعض الأوقات وكان بها فى هذا
اليوم ألم شديد فلعب عندها بهذا الطبل فعانقته وقالت له
لا يوجع رأسى فأخذ فى خاطره حيث رأى منها خلاف
ما يعهده من المداعبة والمفاكهة لكن أداه عقله إلى إيثار محبة
أمه على اللعب الذى كان يميل أيضا إليه فوضع الطبل فى محل
ومكث مع أمه ليسليها فى مرضها كتسلية أبيه إياها
ومثل هذا المملوك الذى كان منشاه استقامة مزاجه
وسلامة ذوقه كان محبوباً عند الناس وكانت دائماً أفعاله
على طبق ما هو مركوز فى طبعه من الشفقة على عباد الله
وطيب نفسه وحسن خلقه وكان صدق محبته لوالديه يحمله
على برهما وامتثال أمرهما ونهيهما وقبول نصائحهما
ولا يزال يتعلم القراءة والكتابة على مؤدب خصوصى يأتى إليه
بمنزل والديه حتى تأهل للدخول فى المدارس السلطانية فعند
خروجه من منزل أبيه ودخوله فيها للمكث بها ليلاً ونهاراً
بكى بكاء شديداً حيث لم يتعود على فراق أهله غير أنه امتثل
ما أمر به واجتهد كل الاجتهاد لكتسب المعارف وليسر

معلمه فلما رأى معلمه منه ذلك عامله معاملة الوالد لولده * ما جزاء إلا الحب الاعجب * وكان هذا كله من السعادة التي كانت ملازمة له في سائر أحواله وأطواره حيث فاز بتحصيل المعارف * وكسب اللطائف * والاعتبار التام * وحب جميع الأنام * وفي هذا المعنى قيل شعر

والولد الصالح عند الأهل * يحب بل يكرم عند الكل
يمتاز عن أقرانه في المكتب * تشمله بركة المؤدب

(الحكاية الرابعة عشرة حكاية عائشة)

وهي حكاية البنت التي برعت في شغل المحارم والمناديل * واتجرت في ذلك أحسن التجارة وكان سلوكها لغيرها من البنات أحسن دليل

كان في بعض البلدان امرأة يقال لها زينب وكانت أرملة من زمن صباها ولها بنت تسمى عائشة لم يكن لها من العمر إلا ست سنوات فمكثت هذه المرأة في بيتها وصارت تشتغل المحارم والمناديل وتصطنع الخيط والأشرطة وتبيع ذلك لمن يأتي إليها من النساء لتكتسب من كدها وعرق جبينها وتتعيش من ذلك هي وبنتها وكانت عائشة بنتها تتعلم معها وتعرف أثمان ذلك وإذا كانت أمها غائبة تبيع بالأثمان المعلومة وتقوم مقامها فكان ذلك يظهر أنه أمر عجيب بالنسبة لكونه

لا يمكن مثله لكثير من البنات اللاتى بلغن من العمر اثنتى عشرة سنة بل أكثر فانهن فى هذا السن قل أن يكن مثل هذه البنت الصغيرة فى تربيتها ومواظبتها على البيع والشراء وزيادة على ذلك كانت تشتغل بمعرفة القراءة والكتابة وتتقدم فى ذلك كل يوم وتعرف قوانين بيعها وشرائها حق المعرفة وتستميل قلوب النساء اللاتى يشترين منها بحسن خلقها وكمال أدبها فكانت تسر بها النفوس وتنشرح لها الصدور وكانت لطيفة خفيفة ألوفة وعما قليل تردد إليها النساء للأخذ والعطاء وعرف بيتها بذلك وصار لها صيت حميد وشهرة ممدوحة وفاقت أمها فى جميع خصالها ولصغر سنها كانت محبة النساء إليها أكثر من أمها لاسيما وكانت تولع بالاشغال الدقيقة اللطيفة وتسلك مسلك الأدب فى الخطاب ولا تغالى فى الأثمان بل تخبر بالحقيقة فيها وتصدق فى الأخذ والعطاء وصارت ثقة ممدوحة على جميع الألسن حتى كاد الناس يرفعونها الى السماء وزيادة على حيازة هذه الخصال التى يندر وجود مثلها فى غيرها كانت متواضعة لا تفتخر بما كانوا يمدحونها به ولا تحرك لسانها بمدح نفسها بل إذا سمعت مدحها بأذنها تغضى عنه وتظهر انه ليس فيها وإذا جلست أمها للبيع والشراء مع أحد لا تتكلم عائشة بكلمة ولا تختلط

مع أى انسان كان بل تشتغل بأشغالها الخصوصية ولا ترفع بصرها فيمن يشترى وكانت تشتغل لأمّها وتأخذ الأجرة كالأجنبية وتضع الأجرة فى حصالة صغيرة ولا تعدّها وتأخذها إلا مرّتين فى السنة فى أوّل الصيف وأوّل الشتاء لتشترى بها ما يلزم لها

وكانت مع أشغالها الكثيرة تُبقى زمناً لقراءة الكتب وكانت أمّها أيضاً تحسن القراءة والكتابة فكانت أمّها تحضرها بين يديها لتسمع قراءتها صباحاً ومساء ورتّبت لها أيضاً من يعلمها حسن الخط والحساب الهندى فتعلمت البنت لمزيد انتباهها وكثرة اجتهادها فى أقرب وقت ما يكفى للتجارة بحيث صار فيها أهلية تقييد المبيع والمشترى عيناً وثمناً وتواريخه

وكانت كلما كبر سنها زادت محبة أمّها لها وتسليتها بها ثم انه حصلت فرصة من الفرص ظهر بها للأم ما يدل على وفور عقل بنتها وحسن تربيتها وذلك ان الأم مرضت مرضاً شديداً فقامت عائشة بشأن البيع والشراء كأنها امرأة كبيرة السن ولحزمها وسداد رأيها لم تخبر أحداً بمرض امّها بحيث كان من يدخل أو يخرج يظن أن أمّها قريبة منها وأمرت الجارية أن تتعهد أمّها وتقوم بشأنها وتكتم مرضها فكان الأمر لا يذكر حتى حصل لأمّها الشفاء وقامت من مرضها

فوجدت الأشياء مثل العادة ورأت تجارتها رابحة فعلمت أن بنتها قامت بشعار البيع والشراء على أحسن حال ولم يذهب من المتعوّدين على الشراء منها أحد

ثم بعد مدّة ماتت الأم وكان عمر البنت إحدى عشرة سنة فحصل لها من هذه المصيبة الغم الشديد وتأثرت كل التأثير من ذلك ولسداد رأيها وكمال عقلها هوّنت على نفسها وأظهرت أنها لم يحصل لها انزعاج ولا قلق خوفاً من أن يتباعد عنها الزبون المتعوّد ويقول فى نفسه إنها الآن غير مهتمة بالأخذ والعطاء فاستمرّت على ما كانت عليه فى حياة أمّها دفعاً لمصيبة ثانية وهى الخسارة وصارت تلاقى الناس بالملاطفة والبشاشة وكثر عندها الأخذ والعطاء بيعاً وشراءً وتشغيلاً للمنسج كما كانت أمّها وأسكنت معها إحدى خالاتها فى المنزل وعهدت لها بالأمور المنزلية لتتفرّغ للكسب ولئلا يكون لأحد فيها مطمع فعما قريب صارت ذات ثروة من كسب يدها وبيعها وشرائها وحسن سلوكها ودماثة خلقها وفى هذا المعنى قيل شعر

فضل البنات الشغل والتطريز * ومن حوت علماً به تفوز
فى سائر الأحوال الاحتشام * من جنسهن والخيا لزام

(الحكاية الخامسة عشرة)

(قصة مراعاة المسكين)
(والخوف من الله تعالى)

كان في مدينة من المدن صغير يسمى عمارة وكان متعوداً من صغر سنه على البكاء على أقل الأشياء فمن كثرة بكائه احمرت عيناه وشحب لونه وغلظ أنفه غلظاً فاحشاً وقبح منظره فكان يستبشع الناظر منظره وكان فيه أيضاً داء عظيم وهو كثرة الأكل فبذل السمن وصار فظاً غليظاً

وكان له قريب من أقاربه مؤدب صبيان بمكتب يسمى مكتب الشيخ شهاب الدين وكان هذا المعلم يحب هذا الصبي لكونه قريبه وكان يود أن يأخذه عنده في مكتبه إلا أنه كان يخشى عليه من استهزاء الصبيان وسخريتهم منه لقبح منظره

وكانت أمه تعهد من الشيخ شهاب الدين ذلك فلما جاء أوان تعليم ولدها القراءة ودخوله في المكتب وضعته في مكتب قريب من بيتها لم يكن فيه إلا أولاد الفقراء وكان مؤدب الأطفال فقير الحال ومع ذلك فلم يلتفت إلى الولد لقبح منظره وبشاعة صورته فكأنه إلا صبي زاد على الصبيان لا عبرة به

وقد اتفق أن المكتب الذي دخل فيه كان به مرآة معلقة في حائط

فجعل عمارة ينظر وجهه فى المرآة فأخذ الصبيان يضحكون عليه جميعاً ثم خطر فى بال واحد منهم أن عمارة جديد فى المكتب وأن الضحك عليه فيه كسر خاطر له لاسيما أمامه وبحضوره فخرج من المحل حيث لم يتمالك نفسه ولوّث وجه نفسه بالحبر ثم دخل ملوّثاً بالحبر وجلس فى محله عابساً كالح الوجه فضحك التلامذة عليه فأخذ يضحك كأنما يضحك على ضحك التلامذة عليه فتغير موضوع الضحك وصار هو أضحوكة عوضاً عن عمارة

فلما جاء وقت خروج الصبيان تجهز المؤدب الأطفال جميعهم منه للابعلل متصنعة ما عدا عمارة فإنه أخرجه وبعد خروجه طلب الولد الصغير الذى لوّث وجهه بالحبر وكان قد غسل ذلك إلا انه لم يزل الأثر باقياً وقال أريد أن تخبرنى بحقيقة الحال وما الحامل لك على تلويث وجهك وعلى السلوك الذى سلكته فلا بدّ أن تصدقنى ولا تكذب علىّ فان فى الصدق النجاة ومن ظن أن فى الكذب تخفيف الذنب وتلطيف العقاب فقد أخطأ كل الخطأ فمن كذب على عالم بالحقيقة وخبير بالتجربة وخطر بباله تفويت الجزاء فقد أساء السلوك * وأغضب المالك والمملوك * ومن ذا الذى يرضى على من أغضبه وكذب عليه * وقدم الأكاذيب والأباطيل بين يديه * فلا يترك انجازة

على الكذب الا أحمق سخيف * لأنه خصلة ذميمة تنفر منها نفس كل شريف * وكان هذا الولد حسن التربية شريف النفس فكان فى أثناء كلام معلمه واقفاً بين يديه موقف الذل غضيض البصر منخفض الرأس محمرّ الوجه خجلاً من مؤدّبه فلما فرغ معلمه من كلامه أجابه الصبي بقوله ياسيدى لما رأيت أن عمارة جديد فى مكتبنا وأنه بتلك الصورة وأن الصبيان أخذوا فى الاستهزاء به والضحك عليه وأن هذا غير لائق فى حدّ ذاته وخشيت أن يفتح منهم لو ثبت وجهى بالحبر لكى ينصرف الضحك عنه إلىّ حتى لا يقع للمذكور كمال خزى وكسوف * ويعرف أنه ليس الضحك عليه خصوصية له وإنما هو لكل إنسان ممكن ومصروف * فأعجب معلمه ذلك واستحسن عقله وطيب قلبه وأظهر له علامات الودّ والاعتبار * وحمد صنيعه وصار يثنى عليه آناء الليل وأطراف النهار * ثم التفت إلى غيره من الصبيان قائلاً لهم أروم منكم أن تذكروا هذه الفعلة الحميدة * والمكرمة المفيدة * والخصلة الفريدة * التى لا تقاومها المآثر العديدة * التى صدرت عن صاحبكم عن طيب نفس زكية * وحسن تأديب وتربية * فلعلها تنطبع فى مرآة ذهن كل منكم * ومن الآن فصاعداً لا تصدر السخرية والهزؤ عنكم * فلا يهزأ المرء بغيره أيّاً ما كان * فإنه لا يعرف

تصاريف الزمان * فمن كان ذا عاهة جبلية أو عرضية * أو كان مشوه الصورة من أصل الفطرة أو بآفة مرضية غير مرضية * فحسبه ما قام به من الدمامة * والناظر إليه إذا كان سليماً من ذلك يحمد الله على السلامة * فإن المولى القادر على كل شئ ربما عافاه وابتلى من عابه * وكم من سليم اعترض على قبح صورة شخص فأصابه مثل ما أصابه * فان الاعتراض على الصور * إنما هو فى الحقيقة لوم على القضاء والقدر * فالحذر من ذلك كل الحذر * إن ذلك من إحدى الكبر * فما فرغ المؤدب من وعظه وتحذيره * إلا وداخل قلوب الصبيان الفزع والرعب من حماسة كلام المؤدب وحسن تعبيره * وانصرفوا من عنده عازمين على عدم العود والرجوع * إلى السخرية من كل إنسان اتصف بصفة قبح وشرعوا فى حسن السلوك كل الشروع

وفى اليوم الثانى رجع عمارة إلى المكتب فلم يجد أدنى شئ مما رآه فى اليوم السابق ولم يعلم السبب فى ذلك ولما رأى المعلم حسن حال الصبيان فى هذا اليوم * فرح وعلم أن ذلك إنما نشأ عن الذى فعله من التوبيخ واللوم * وحصل له غاية السرور إذ رأى جميع الصبيان من أولهم إلى آخرهم قد أظهروا لعمارة امارات المودة وحسن الالتفات * وألفوا قلبه وجبروا

خالل مافات * لاسيما الصغير الذى حماه من عبث النقمة *
فانه اخذه وأجلسه معه والتفت إليه بالكلية * فكأن
لسان حاله يقول إنى اتخذتك صاحباً ورفيقا * وأخذتك
خليلاً وصديقاً * مع ماحزته من قبح الشكل وبشاعة
الصورة * بشرط أن تحوز بدله من الصفات المأثورة * مايسد
خلل ذلك * ويستحق الاعتبار بسلوك أحسن المسالك *
فإن كان كذلك فبها ونعمت * وإلا فالسلام عليك وصحبة
وما تمت * وفى معنى هذه الحكاية قيل شعر

الرفق بالفقير والضعيف * من حسن أخلاق الفتى الشريف
وخوف رب العرش والمراقبة * أمن من الشر وسوء العاقبة

(الحكاية السادسة عشرة)

تتضمن أن الإنسان يكتسب السعادة إذا أسعد غيره

اتفق أن عمارة خرج يوماً فرأى فى طريقه ولداً صغيراً يبكى ويرفع
يديه للسماء ويقول يارب ما عاقبة أمرى فرق عمارة
لحاله وانتظره حتى ذهبت أمه ثم دنا منه وسأله عن سبب غمه
فتنهد وقال سبب غمى انى أخاف عقاب مؤدبى وذلك انى من
الصبيان الذين يقرؤن فى مكتب الشيخ شهاب الدين ولى عنده
مدة وهو يحبنى وقد أخذت اجازة ومكثت عند أبى أسبوعا
مع أن معلمى لم يعط مثل هذه الاجازة الطويلة لأحد غيرى وكان

قصدى عند رجوعى أنى ادخل عليه السرور إذا سمعته لوحى ووجدنى حافظاله كما ينبغى لكن وجدت لوحى قد ضاع وصارَ فى أثناء الحكاية يبكى وكان من طبع عمارة الرأفة والشفقة وكان عنده طيب نفس فرفق بحال هذا الولد وأراد أن يجبر خاطره لكن تحيّر فى الطريقة التى يتوصل بها إلى ذلك ثم قال فى نفسه افعل معه ما تحب أن يفعل معك فى مثل هذه الحادثة لاسيما وان المؤدب دائماً يكرّر للصبيان حديث لايؤمنُ أحدكم حتى يحب لأخيه كما يحب لنفسه وكان لعمارة المذكور لوحان لوح فى يده ولوح فى المنزل فأعطى اللوح الذى فى يده لصاحبه بطيب نفس وسماح خاطر ولاحت على وجهه أمارات السرور حيث أدخل السرور على أخيه وكفاه شرّ عقوبة مؤدّبه له فأخذ الولد اللوح بدون توقف ومسح دموعه وطرب من الفرح وشكر عمارة على صنيعه بأحسن صيغة من صيغ الشكر جامعة للثناء

فذهب بلوحه إلى مكتب الشيخ شهاب الدين وذهب عمارة إلى منزله فرحاً مسروراً بما فعله من المعروف عملاً بمواعظ مؤدّبه

فلما دخل عمارة منزله بادر بالبحث عن لوحه الذى كان معتمداً عليه حين أعطى لوحه للغلام وجدّ فى البحث عنه فى جميع

الطيقان والدواليب فلم يجده مع أنه كان متحققاً وجوده بداعي أنه كان له قريب كان أعطاه له وكان يأتي إليه ويكتب له فيه شيئاً غير الذي كان يحفظه في المكتب ثم رآه في جهة من جهات البيت مكسوراً إلى عدة قطع فتحير كل الحيرة وتفكر ماذا يصنع في اليوم الثاني حين يرجع إلى مكتبه لاسيما وانه يحتاج إلى لوحه كل يوم ليكتب ويحفظ فيه ما يسمعه لمؤدبه فبينما هو مهموم مبلبل البال بالفكر في ذلك إذ دخل مؤدبه وهو الشيخ شهاب الدين في الأوضة التي كان عمارة فيها فلما رأى الشيخ عمارة قد رجع من مكتبه فرح به وسأله عن أشغاله قراءة وكتابة وحفظاً هل وفى بذلك فأجابه بأنه مجتهد لا يضيع له زمن في البطالة ولا يعتريه كسل ولا فتور همة فطلب منه الشيخ لوحه لينظر فيه ويسمعه منه لينظر حفظه وتجويده وخطه حتى يطمئن قلبه عليه في ذلك فاحمرّ وجه الغلام من الخجل * وخاف أن يخبره بما جرى من ضياع لوحه فينسبه للإهمال والكسل * لاسيما وان هذا الغلام كان يستحي كل الحياء من الشيخ فلم ينطق بكلمة فلما رأى الشيخ أن الغلام مبهوت قال في نفسه إن أمر هذا الغلام محصور بين شيئين إما انه ضيع لوحه أو انه لم يحفظه ثم أراد أن يقف على الحقيقة فكرر عليه السؤال وقال له ائتني بلوحك إن شئت وترفق معه في الطلب والآن له

الخطاب واظهر له أن الطلب ليس طلب إلزام متعلق له على مشيئته فأخبره عمارة بما حصل واتفق وأراه أمارة صدقه وهى قطع اللوح فلامه قريبه على تفريطه فى ذلك ولم يشدّد عليه فى اللوم والتوبيخ ولم يعاقبه لكونه أصدقه ولم يكذب عليه وفى الحقيقة حصل للشيخ سرور باطنى حيث عرف أن شأن عمارة الصدق وحسن السريرة وصفاء الباطن وعدم المحاولة

ولما ذهب الشيخ شهاب الدين سألت أم عمارة ابنها عن اللوح الآخر الذى كان فى المكتب وقالت له انه يليق أن يعطى للشيخ شهاب الدين عوضاً عن لوحه الذى تكسر وكان عندنا على سبيل الوديعة فبهت عمارة ولم يقدر على إجابتها بكلمة لمّا علم أمنه بأنه أخطأ فى عدم استشارتها فى إعطاء لوحه للغلام المتقدّم ذكره لأنه ينبغى للولد أن يستشير فى جميع أفعاله أباه أو أمه ولا يقدم على فعل شئ إلا بأذنهما أو بأذن احدهما ومع ذلك فلم يكتم عنها هذا الأمر بل أخبرها بالواقع وحقيقة الحال ولم يخش من شئ لكونه كان محبوباً لها ولكون ما فعله منتظم فى سلك فعل المعروف مع الغير فقص عليها ما حصل من التضرر للولد الذى صنع معه الجميل وذكر لها حالته على وجه ترق له القلوب حتى انها لما سمعت ذلك رأت أنه لا سبيل

ايهافي لومه إلا عدم استئذانها على أنه في الحقيقة لا لوم عليه في ذلك ولا يستحق المؤاخذة ومع ذلك قالت له لتعظه لا يجوز للولد أن يعطى إلا ما ملكت يده ولا يتصرف فيما هو ملك أبيه أو أمه بدون إذنهما بوجه من الوجوه قل أو جل فإذا تبرع لغيره من مال والديه كان متعديا للحدود مسيء الفعل في حقهما وليس له فضل ولا ثواب في حرمان نفسه من لوحه باعطائه للغير بل ان الشيء الذي يعطيه الصبي بدون إذن والديه لا يكون ملكا للمعطى له بل يجوز للوالدين الرجوع فيه ولكن يا بني افعل المعروف مع الاخوان بعد الاستشارة والاستئذان * فارتسمت هذه النصيحة في قلب عمارة وعزم على انه لا يتبرع لرفقائه بشيء إلا بالإذن أو اذا بلغ رشده وصار له مال خاص به

وبينما أمه تنصحه في البيت وتظهر له اللوم إذ انتشر في مكتب الشيخ شهاب الدين الثناء عليه وكثر مدحه عند أهل المكتب وعند المؤدب المذكور وذلك أن الغلام الذي كان عمارة قد أعطاه لوحه أخبر سرا بعض رفقائه بما حصل له من الكرب بضياع لوحه وبحسن الصنيع الذي فعله معه عمارة فتنقل الخبر من غلام إلى آخر وتواتر بين الغلمان وصاروا يتحادثون به مع بعضهم فسمع الشيخ من جميع الجهات ما شاء الله فأراد أن

يعرف سبب هذا التهليل الصادر عن كافة الغلمان فأخبره أحد العرفاء بالصورة فحصل له غاية السرور والهناء لأنه يحب عمارة قريبه محبة الوالد لولده وحق له الآن أن يفتخر به بما أحسن وجود ذريعة الفضائل * وثمرات الخيرات الجزائل * فى ولد عزيز عند أحبابه * محبوب لأصحابه * بارّ بوالديه * متودّد لأقاربه وكل الناس تثنى عليه * وقد سبق أنه فى مكتب آخر غير مكتب قريبه الشيخ شهاب الدين فقال جميع الغلمان للشيخ المذكور لم يجتمع عمارة قريبك معنا فى مكتبك ليكون تحت يدك وأنت أولى بتعليمه من الغريب فقال أيها الغلمان مامنعنى من ذلك إلا بشاعة منظره الذى هالكم ونفرت منه طباعكم وترتب على ذلك خروج بعضكم من عندى فأجابوه جميعا بأن جمال الطبع وحسن الخلق أعظم من جمال الصورة وحسن الخلق وترجّوه جميعاً وتضرّعوا إليه أن يلحقه معهم فى مكتبه فكان معروف عمارة الذى فعله مع الغلام بسماحة نفس وطيب خاطر سبباً لهذا الجزاء العظيم * المؤسس على الودّ الموجب للخير العميم * بحيث أن صبيان المكتب اتخذوه صديقاً وصاروا يلهجون بشكر صنيعه وألفوه كل الألفة وقد غطت محاسنه الفعلية معايبه الخِلقية من فظاظة وغلاظة وقبح صورة وغير ذلك

ولم يكتموا عنه في أثناء مسامرتهم له ومحادثتهم معه وحسن بشاشتهم في وجهه أن موجب هذه المودّة والمحبة إنما هو حسن صنيعه مع أحد رفقائهم وليس ذلك ذاتياً له
فانشرح من ذلك الوقت صدر عمارة وطابت نفسه وقرّت عينه ووقع ذلك منه بموقع عظيم وأثرت فيه مكافأتهم له على حسن صنيعه مع الغلام وعزم على أن لا تفوته فرصة في نفع أحبابه متى عرضت وذهب إلى مؤدّبه القديم ليخبره بذلك ويشكره أيضاً على ما بذله من نفعه قبل ذلك من الهمة ويشكو له عذره في انفصاله عن مكتبه فلما سمع مؤدّبه ذلك أظهر الأسف على فراقه بسبب ما فيه من الخفة واللطافة وحسن الخلق والامتثال والطاعة والانقياد وودّع رفقاءه فبكوا جميعاً وتأسفوا على فراقه وفقده وأظهروا له دلائل المودّة والصداقة وأمارات المعزّة وأنهم لا يطيقون فراقه فظهرت عليه أيضاً علامات التأثر بذلك الا أنه وجد في نفسه انبساطاً بالدخول في مكتب قريبه حيث انه بالحمة القرابة عساه يحنو عليه ويباشر تربيته وتأديبه اكثر من الغريب وإن كان يشدّد عليه أكثر من الأوّل ولما أقام بمكتب الشيخ شهاب الدين اجتهد أيضاً وانتفع بما كان يراه في المكتب من المحاسن والتأديبات وأثمر فيه التعليم والتأديب زيادة عن الأوّل وعما قليل انتقل

من حالة إلى أحسن منها وتكاملت تربيته وصلح شأنه وحسن حاله * وتباشروا له أن يصلح أيضاً ما له * وفي هذا المعنى قيل شعر

من رام نظمه يسلك السعدا * فليسعد الغير ليبقى سعداً
يحب مثل ماله لغيره * يعطي أخاه جانباً من خيره

(الحكاية السابعة عشرة)
تتضمن قاعدة مجربة لحسن التعليم

قد سبق أن عمارة أحسن الصنيع مع الغلام السابق وكان اسم الغلام المحسن اليه علياً واتفق أن عمارة لما صنع المعروف مع علي حصل له في نفسه فرح باطني وانبساط نفس كما هو العادة لمن فعل الخير وجوزي عليه بالثناء الجميل من أصحابه وبما أظهروه له من المودة حيث جلبوه اليهم وعاملوه أحسن المعاملة فانظر إلى سعادة الصبي الذي أحب اخوانه * وعامل بالمعروف أقرانه * وباعد عنهم الهموم والأحزان * وأدخل السرور عليهم حسب القدرة والامكان * وكيف صار جزاؤه موفوراً * ولم يضع عمله هباء منثوراً

فقد اتفق أن عمارة لما أعطى لعلي لوحاً فعاد لمكتبه فرحاً مسروراً وشاع ذكر هذه الفعلة الجيدة * ووصل الخبر لأبي علي فأراد أن يكافئه ويزيده * فاشترى مصحفاً لطيفاً وجلده

تجليداً

تجليد أجيد أو أعطاه لعمارة وصنع وليمة عظيمة ودعا إليها الشيخ شهاب الدين والعرفاء وعمارة وصبيان المكتب وأكرم عمارة الإكرام التام وصار يقدم له الأطعمة اللذيذة والحلويات وجميع الحاضرين يلاطفون عمارة ويغضون النظر عن رؤية منظره البشع

وفي ثاني يوم الوليمة اتفق أن أبا علي ذهب إلى المكتب لينظر عليا وعمارة صاحبه فلما رأى ولده أراد أن يجرب طاعته ويختبر امتثاله فقال له يا ولدي إن قصدي أن تحفظ سورة يوسف وكان من طبع علي الكسل فظهر الفزع من ذلك وأظهر لأبيه أنه لا يمكنه أن يحفظها الآن وكان ذلك أمام المؤدب فأخبر أبو علي المؤدب بما يرومه من تعليم ابنه وترجى المؤدب أن يبذل جهده في حثه وتحريضه على الحفظ والقراءة وأن يحفظ عن ظهر قلب جميع ما يكتبه وقال لكن قبل كل شيء أريد أن يتعلم الطاعة والامتثال وحسن الانقياد * فإن هذا أحسن ما يعتاده الأولاد

وسلم الأب على المؤدب وذهب إلى حال سبيله فشرع الغلام يتشكى من كلام والده لرفقائه والمؤدب يسمع منه فناداه المؤدب وقال له يا علي إنك لم تفهم مراد أبيك فإنه ليس مراده مثلا أن تحفظ السورة بتمامها في يوم واحد بل تحفظها على

التدريج فتحفظ كل يوم ثمناً منها فقال علي إن كان مراد الذي
ذلك فليس هذا بعظيم فحفظ الثمن لوقته فقال له المؤدب
الظاهر أن الثمن الذي بعده ليس أصعب منه فقال علي لا مانع
من ذلك فحفظه أيضاً حفظاً جيداً فمدحه المؤدب وأثنى عليه
بين الغلمان * وشكره على ذلك جميع الصبيان * فقوي قلبه
على الحفظ وفي أيام قلائل حفظ حفظاً جيداً جميع السورة *
فكانت مساعي مؤدبه مشكورة * وهكذا شأن
من يريد سياسة الصبيان * فإنه لابد له أن يحسن التدبير
كل الإحسان

وفي أثناء تدبير المؤدب تعليم علي * كان عمارة يلمح ذلك بطرف
خفي * فعرف أن تدبير الحيل * هو الهازم لقوي شوكة
الكسل * وكان عمارة غير كسول إلا انه كان في ذهنه جمود
وليس سهل الحفظ فأراد أن يستعمل تلك الطريقة للغلبة
على جمود ذهنه لعل ذلك يكون سبباً في أن يحفظ كل يوم
من المصحف الذي أهداه له أبو علي أكثر من لوحه ففتح المصحف
وعين له خوجته منه مقدار عدة سطور فصار يكررها
وفي المثل الذي لا شيء منه أوعظ * أكثر لتعلم وأقلل لتحفظ *
ثم طوى المصحف وكررها على ظهر الغيب فلما علم أنه حفظها
أخذ غيرها وصار يفعل هكذا حتى حفظ جميع ما عينه له

مؤدبه

مؤدّبه فحصل لعمارة انبساط من نفسه واستحسن هذه الطريقة المسهلة للحفظ وعزم على أن يستعملها دائماً فلما جاء وقت الفسحة ذهب إلى اللعب وكان اللوح الذي حفظه هو الذي يسمعه لمؤدّبه من الغد فكرّره عند المساء قبل نومه عن ظهر قلب ثم نام فلما استيقظ وجد جميع كلمات لوحه تجري على لسانه ومرسومة في ذهنه منتقشة في عقله يمكنه تسميعها لمؤدّبه بدون معاناة وتفكر فتعجب غاية العجب من فائدة هذه الطريقة السهلة النافعة

وكانت عمارة قبل ذلك يندر أن يحفظ لوحه بهذه الكيفية مع الصعوبة التامّة فكل من لم يعرف أنه حفظ بهذه الطريقة كان يظنّ أنه حفظ ذلك بكثرة تكريره ومواظبته مع طول زمن حتى أن قريبه كان يظنّ ذلك وليس الأمر كذلك بل اتباع هذه الطريقة هو الذي وصله إلى ذلك فكان يحفظ من لوحه أو مصحفه قليلاً قليلاً ويجمعه ويكرره فيرسخ في ذهنه بهذه الوسيلة غلب جمود القريحة وخمود الحافظة وكان لا يظنّ أنه لا يحفظ القرءآن ولا غيره من المتون وفاق الأقران وبرع عن الاخوان حيث أنهم لم يسلكوا هذه الطريقة ولا اهتدوا إليها ولا وُفقوا للعمل بها ولا زال كذلك بعد أن خرج من المكتب ودخل مدارس العلوم واستعملها أيضاً

في المطالعة والمذاكرة فنجح كل النجاح * واكتسب كل الكسب وربح كل الرباح * وكان من شأنه الحياء والتواضع والخمول فلم يسأل عن طرق الترفع والاشتهار * ولا التكبر والافتخار * بل كان مفوضاً الشهادة له بالفضل لأساتيذه ومشايخه العظام * فكانوا ينشرون مدحه والشهادة له بالمعارف بين الأنام * وفي هذا المعنى قيل شعر

يحسن حفظ اللوح للصغير * على مرار بل وللكبير
يرسخ في الذهن وليس يمحى * جرّبه بالتقسيم واقبل نصحا

(الحكاية الثامنة عشرة)

(في بيان كون التكبر يدل على الحماقة)

اتفق أن ستاً من الستات ذهبت ذات يوم لتنظر ولدها في مكتب الشيخ شهاب الدين وكان لها بنت لها نحو ثمان سنوات وكانت تلك البنت بديعة الجمال إلا انها كانت من صغر سنها آخذة في أسباب الكبر وكانت تسمى ناظلة هانم فكانت لا تكلم من الناس رجالاً ونساء إلا من كانت تعتقد أنه من الأمراء أو الأغنياء وكانت لا تلعب مع أحد من البنات إلا مع من تلبس الملابس الفاخرة وكانت تنظر أولاد الفقراء والرعاع بعين الازدراء والاحتقار وإذا وجهوا إليها الخطاب تستنكف عن ردّ الجواب وإذا أجابت لا تجيب إلا بما يدل على

عدم الاعتبار ويفيد الاستخفاف ويوجب كسر الخاطر وتكدير الخاطب فلما أخذتها أمها معها لتنظر أخاها أتى إليها أخوها ببعض أصحابه من الغلمان الصغار لتتكلم معهم في القراءة لأنها كانت لها مؤدّبة في البيت تعلمها القراءة والكتابة فتكلمت مع البعض فكان من جملة من وجه إليها الخطاب عمارة فعبست في وجهه عبسا شديدا وألفتت وجهها عنه فقال لها أخوها إن عمارة هذا عزيزي وله علىّ فضل التعليم وانه ملتفت إلىّ كل الالتفات ويحفظ لي لوحي ومصحفي ودواتي من الضياع ومع ذلك فلم يرق قلب تلك الطفلة له وإنما حين سمعت من أخيها مدحه قالت كنت أظن أن فيه من الخبث والشيطنة بقدر قبح منظره فالحمد لله الذى لم يجعله كذلك ولأى شيء مثل هذه الذات تدخل هذا المكتب ولو أعلم أنى أقابل شخصا بهذه الصورة لما كنت حضرت مع أمى وقالت لأمها أسرعى بنا للذهاب * لتفارق هذا الوجه المعاب * فانقبض أخوها من سماع هذا الجواب الخالى عن الإنسانية والمروءة وشق عليه ذلك وتأثر أيضا عمارة من ذلك كل التأثر وانفعل كل الانفعال فأخذ أخوها عمارة من يده وذهب به إلى بستان المكتب ليتمشى معه ويعتذر له من صنيع أخته ليجبر خاطره فقبل عمارة العذر

ولما اقتضى الحال أن أم ناطلة هانم تمكث فى المكتب مدة لتسأل عن حال ولدها وقراءته وترضى المؤدب عليه ذهبت بنتها إلى البستان لتقطف بعض الأزهار فأبصرت طير الفراش ببعض الأغصان فشخصت إليه حين طار وجرت وراءه لتمسكه من غير التفات أمامها والحال ان أمامها فسقية ماء منزوحة ولكن بها طين فسقطت فى هذه الفسقية ووحلت فيها فعالجت الخروج فلم يمكنها فذهب أخوها اليها مبادراً لنشلها من هذه الفسقية إلا انه عند إغاثته لها أخذ يضحك عليها وعلى حيرتها ولم يظهر عليه أنه رق لحالها ولا تأثر بما جرى لها حيث انها ليست فى خطر عظيم وأيضاً لما كان صغير السن غلبه الضحك عليها إذ رأى ان ملابسها النظيفة الثمينة صبغت بالطين وقال لها مستهزئاً يا ناطلة لازلت تسخرين على قبيح المنظر انظرى الآن لنفسك فإنك لطيفة جداً فانفعلت من تهكم أخيها وقد حاول أخوها أن ينشلها من ذلك وبذل قوته فما أمكنه ذلك وهى تبكى وتصيح واشتد غضبها من كلام أخيها إذ نامتها عمارة وقال لها بلطف لولا أنى أخشى أن تنفر نفسك وترتعبى منى لكنت أقرب منك وأنشلك من هذا الوحل لكن أعرف أنى قبيح المنظر يهرب منى من يرانى فصاحت قائلة بصوت يدل على كربها وسوء حالها يا حبيبى

لا تؤاخذنى

لا تؤاخذنى بما قلت وكن أكرم نفساً منى واخرجنى من هذا الوحل وحين قالت ذلك كانت عيناها تذرفان بالدموع فأخذت عمارة الرأفة والشفقة عليها فنزل فى الفسقية ورفعها ونقلها إلى حافتها ومسح ما عليها من الطين بقدر إمكانه ولكن لم تزل ملوثة البدن والثياب فى حالة مهولة توجب أن يرثى لها واستمرت على البكاء والنحيب * واخوها ينظرها نظر المبغض لا الحبيب * ثم دنا منها وقال لها فى أذنها لا ينبغى لك أن تحتقرى أحداً من خلق الله * ولو بلغ فى القبح منتهاه * فأن الإنسان ليس آمنا من أن يفتقر إلى من دونه وأصغر منه قدراً وبينما هى على هذه الحالة الرثة وأخوها يوبخها إذ علم الصبيان بهذا الأمر فاجتمعوا عليها متفرجين * ونظروا إلى بدنها وثيابها ضاحكين * فازدادت غماً على غمها * وأرادت الفرار من أخيها وأمها * ولكن حضرت أمها عند ذلك * حين علمت بما هنالك * وسترتها بشال كبير وذهبت بها إلى منزلها وهى تلومها كل اللوم * وتقول لها قد جوزيت على كبرك بنكبة هذا اليوم * فمثل هذه عبرة للبنات الصغيرات اللواتى لسفههن لا يعتنين إلا بالصبيان الحسان وبمن كان ظريف الشكل لطيف المنظر والصورة مع أن كثيراً ما يتجرد الإنسان عن حسن الملبس ويخلو عن

بجمال الصورة وله أوصاف جليلة * وخلال جميلة * ولا يدرى هل رجعت هذه البنت عن تلك الخصلة الذميمة أو غلبها الكبر وبقيت عليه لا يزول منها إلا مع الروح فأن الكبر عسر الزوال * مفض بصاحبه إلى الذل والوبال * وهو من ذميم الصفات والخصال * لا يقوم إلا بالدنئة من النساء والنذل من الرجال * ولا يشتبه بشرف النفس الأبية * التى لا تحمل الضيم فإن هذا من الصفات الزكية * وفى هذا المعنى قيل شعر

الكبر ناشئ عن الحماقه * وما لعاقل عليه طاقه
يبغض كل الناس رب الكبر * وبالرفيع والوضيع يزرى

(الحكاية التاسعة عشرة)
(تتضمن كون الأدب يستحسنه الناس جميعاً)

لا شك أن أفضل الخلال الباطنة * والخصال القلبية * طيب النفس فهو فضيلة جليلة * وصفة جميلة * يؤثرها العقلاء على سائر الفضائل * كما أن ضدها وهو خبث الباطن أخس الرذائل * ولكن لما لم تكن العقول كلها تبعث أربابها على الاكتفاء بالفضائل اللازمة بل لابد أيضاً من الفواضل المتعدية الاثر للغير كان لابد من البحث عن تزيين الظاهر ومن تحلية الأذهان بحلية لطيفة بها تعلو قيمة العقل ويرتفع قدر صاحبه ومما نضربه مثلاً لذلك أن عمارة السالف الذكر لما دخل

المكتب لم يكن عنده شئ من الأدب ولا التربية لأن أهله من عوام الناس ليس عندهم ترقية ولا تربية فلم يمكنهم أن يعلموه أشياء لم تكن عندهم وأيضا هو زيادة عما كان متصفا به من قبح المنظر كان خاليا عن الرقة الصالحة فإن دخوله في المكتب الثاني أيضا إنما كان لقضية جزئية أوجبت قبوله فيه وكان مَعْرُوفُهُ الصادر منه عن طيب نفس وصفاء قلب وحسن طوية وخلوص باطن حاملاً للتلامذة على أن لا يلتفتوا الى سوء خلقته وقبح صورته ونسوا ذلك بصنائعه الجميلة وكان في مبدأ أمره له اعتبار عظيم وتعظيم جسيم ثم لما تقادم ذلك ومضى عليه الزمن تناقصت قيمة عمارة وسئم منه رفقاؤه وصاروا ينظرون إلى أخلاقه الخشنية وآل أمره أن هجره من كان في الأول يظهر له البشاشة أكثر من غيره وليس هذا بعجيب لأن عمارة وإن كان طيب القلب لكنه خال عن صفة الأدب ومعرفة السلوك مع الناس في حسن المعاشرة والبشاشة والمعروف بحيث يستميل القلوب ويجذب النفوس فصفة الأدب صفة مرغوبة حتى أن من ليس متصفا بها يحب أن يعاملة بها غيره وأن يراها من غيره

فرأى عمارة انه لا يمكنه أن يتخذ له أحبابا يستمرّون على محبته وصحبته بمجرّد فعل المعروف بل ظهر له أن أصحابه إنما سئموا

منه لكونه له الفضل عليهم والنفوس عادة لا تحمل ذلك ورأى انه كلما أراد أن يستجلبهم بصنيع آخر تنحوا عنه حالا فحصل له غاية الغم من ذلك لأن النفس تميل للرفيق والعشير وتطمئن بالصاحب والخليل وهو لا يعلم سبب القطيعة * والمتاركة الفظيعة * ويبحث عن السبب فما وجد لذلك موجباً أصلاً

وقد تخلق الصبيان فى المكاتب بأخلاق الكبار فى المجالس حيث اتبعوا الشئ الجديد * ولا زالوا يحبون الأحداث والتجديد * فإنه كما قيل لكل جديد لذة ولكل قديم هجران فالعادة الآن عند الأصاغر والأكابر أنهم إذا مالت قلوب الجمهور لواحد ازدحم عليه البقية وصار محبوباً عند الخاص والعام * واستحق دون غيره الإكرام والاحترام * وصار له الشهرة التامة والصيت الكامل * فصار لا يتحدث إلا بمدحه فى المجالس والمحافل * وعما قليل تفترعنه الهمم * ويتخلى عنه أصحابه ويصير فى زوايا الأهمال والخمول بعد أن كان أشهر من نار على علم * فينسى ذكره أو يستنكره * وهذا مما يتعظ به العاقل من انه لا ينبغى له أنه يثق بالصيت والشهره * ولو كانت الشهرة له بالاستحقاق * فإن أغلب العامة محبتهم تملق ونفاق

ولما حصل لعمارة تغير من تغير حال رفقائه وشغل باله لم يبق له رغبة في القراءة وكلت همته وغيرته * وضعفت عن الأكل شهيته * فكان ينفرد وحده في جهة من الجهات مدة الفسحة ويمكث في أغلب الأوقات الساعة الواحدة والساعات الكثيرة لا يتفوه بكلمة بل يفكر فيما نابه وأصابه

وكان أحد العرفاء بالمكتب يعرفه ويحنو عليه فلامه على توحشه وتباعده وسأله عن سبب ذلك فبث له حزنه وشكى له حاله مع رفقائه بالصدق وصفاء الباطن فلما رأى العريف صدقه قال له إنك طيب القلب تصنع الجميل مع أحبابك وفعل الجميل من الأمور الجليلة والصفات الممدوحة ولكن هذه الصفة وحدها لا تكفي في استمالة القلوب * ومن ذا الذي بها وحدها عند الجميع محبوب * أما تعلم أنك لست حسن التربية * وليس عندك الأدب اللازم لكل من يريد أن ينتظم في سلك أرباب المجلس والجمعية * فتأمل الى ما بينك وبين صبيان المكتب من الفرق العظيم في التربية والأدب فإنهم جميعاً أرباب حسب ونسب وتربية بمقتضى ذلك فإنك إن قابلت نفسك بهم وجدت نفسك خشنيا كأنك إنما تربيت في الفلوات وما أخلاقك إلا متعبة ثقيلة من تباعد عنها ارتاح منك ومع ذلك فإنك محبوب لان طيب النفس دائماً

معتبر عند أرباب الاعتبار فليتك تقدر على أن تبدل كلامك الخشن بكلام لطيف وتترك الأخلاق الخشنية وتتخلق بأخلاق الرقة واللطف فإذا فعلت ذلك عاد إليك الأحباب * وتزاحم عليك الأصحاب

فصغى عمارة لكلام هذا العريف وعزم على أن يعمل بما علمه ووعظه وسأله عن طريق الرقة واللطافة فقال العريف أن تقتدى بالناس المشهورين بالأدب والتربية وتسير على سيرهم فى أطوارهم وأحوالهم وحركاتهم وتتخلق بأخلاقهم على قدر الإمكان وأن تقرأ كتب الأخلاق والآداب وتعمل بما فيها وإذا انتقد عليك إنسان شيأ فعلته يخل بالأدب فاحذر أن تعود إلى مثله فهذه طريقة اكتساب حسن الأدب والسلوك ولطيف الأخلاق وحميد الفعال * أما تعلم أن هذه الصفة الكسبية تغطى كثيراً من العيوب الكبيرة وتجعلها فى الظاهر من قبيل المحاسن وبالجملة فالأدب يزيد فضل صاحبه ويرفع قدره

فعمل عمارة بهذه النصيحة حتى أن عريفه لما رآه انتقل من حال إلى حال أثنى عليه كل الثنا * وقال له نلت المنا * وعاد إليه رفقاؤه وأصحابه * وأصدقاؤه وأحبابه * حيث رأوا فيه من الأدب ما به تحسن العشرة والاصطحاب * وصار من

يعاشره يكتسب منه الآداب وقد قيل في هذا المعنى شعر

تستحسن الطباع وصف الأدب * وأحسن الآداب آداب النبي

وماسوى أخلاقه فباطل * ومن تحلى بسواها عاطل

(الحكاية المتممة للعشرين)

تتضمن ذكر الصبي الذي يخالف رأيه رأي اخوانه

مما يعد من القبائح مخالفة الصاحب لأصحابه الصادقين معه في الصحبة فقد اتفق أن غلاما يسمى صالحا كان دائما يخالف رأيه رأي أصحابه فإذا استحسن رأي أصحابه الجلوس أو الإقامة استحسن هو السير أو الذهاب وإذا أرادوا سماع حديث وعلم أحب البطالة والفسحة والنزاهة وكان أصحابه صغار السن أيضا مثله فكانوا دائما لملائمة طبعهم وحسن تربيتهم يطاوعونه ويتبعون رأيه مع أن فراقه أقرب ممكن * وقيمة كل إنسان مايحسن * فلما طال عليهم الحال كرهوا ذلك منه وتركوه بالكلية فتفكر صالح في ذلك وقال في نفسه إنه لابد أن يكون الإنسان صاحب معروف طوع إخوانه وأصحابه فلا يتبع دخوله في الجمعيات والمجالسة مع مثله إلا إذا كان لاخوانه أطوع من يد إلى فيه وانه لامعنى للانسان أن يعيش وحيدا أو اخوانه نصب عينه يلعبون معا ويتنزهون وآراؤهم مجتمعة والاخوان في الله ذخائر الشدائد * ومساعد المكايد *

والصاحب لا يعدم * كما أن الغائب لا يشتم * فلا بدّ أن أكون
متخلقاً بأخلاق أمثالي وعلى رأي إخواني وخلاني
ومع ذلك فلم ترض نفسه أن يذهب إليهم ويدخل في جمعياتهم
وقال في نفسه ربما كسفوا بالي * وخيبوا آمالي
فمكث صالح مدّة أيام وهو يريد مصالحة إخوانه وهمّه أمر
ذلك كثيراً حتى عافت نفسه الأكل والشرب فتضرّرت
أمّه من ذلك وظنت أنه مريض وأرادت أن تطلب الحكيم
لينظر طبّه ودواءه فلما علم منها ذلك شكى إليها سبب غمه
فضمته لحضنها وقالت يا بنيّ إذا وعدتني أن لا تعود إلى الخلف
والعناد * وأنك تتمرّن على الرضاء بما يفعله اخوانك وتعتاد *
فإني أصالح معك هؤلاء الصبيان * ويرجع بينكم الودّ القديم
كما كان * وتدخل معهم في جمعية المحبة * وتعقد معهم ثانياً
عقد الصحبة * أما علمت مثلاً من الأمثال * عديم المثال * من
جوامع المقال * لله درّ صاحبه حيث قال * علامة حسن
الخلق قلة الخلاف * وحسن الانصاف * وترك طلب العثرات
وتحسين ما يبدو من السيئات * والتماس المعذرة * واحتمال
الأذى عند المقدرة * ورجوع الانسان باللوم على نفسه *
واشتغاله بمعرفة عيوبه دون عيوب غيره من أبناء جنسه
* وطلاقة الوجه للكبير والصغير * ولطف الكلام

لمن

لمن هو دونه او فوقه ليعيش مع الحقير والخطير

فوعدها ابنها بذلك * ورضى بمطاوعة الأصحاب في حسن المسالك * فصالحته مع الجميع * وتوسطت توسط الشفيع * فقاسمهم من ذلك الوقت في الحظوظ والمسرات * وطاوعهم كل المطاوعة في سائر الأوقات * فبهذا استمال قلوب الجمعية * وعاش معهم العيشة الهنيئة المرضية * ولازال يضرب به وبهم الأمثال * في كمال الصفات وصفات الكمال * وشتان بين حالتي مبدئه وختامه * وصفتي نقصه وتمامه * وفي هذا المعنى قيل شعر

ولا يليق من غلام الطاعه * خروج رأيه عن الجماعه
ففي اجتماع الكلمة السلامه * بها تمم الفتى مرامه

(الخاتمة)

في ذكر نبذة من الأمثال * تناسب الأطفال والرجال

(وصية جامعة * وهدية نافعة)

الشيخ لا يخاشن * والنذل لا يحاسن * والقوى لا يغضب * والمحبوب لا يضرب * والأحمق لا يعتب * ومستجلب الود لا يقرب * والسلطان لا يداد * والقاضي لا يعاند * والوالي لا يخاصم * والأب لا يحاكم * وصاحب الحق لا يشتم * والجائر لا يحكم * والنحس لا يقدم * والكريم لا يغتم *

والصاحب لا يعدم * والغائب لا يشتم * والأمرد لا يشاكل * والفاجر لا يجامل * والخسيس لا يعامل * والمبتلى لا يؤاكل * والشاب لا يفلت * والمصاب لا يشمت * والزوجة لا تجلد * والحق لا يجحد * والكذاب لا يعاشر * والنمام لا يشاور * والكبير لا يكابر * والهارب لا يستخبر * والمانّ لا يستنصر * والخائن لا يؤمن * والأجنبيّ لا يسكن إليه ولا يركن * والجالس لا تنتقل * والمعلم لا يمل * والشاعر لا يعادى * والبخيل لا يهادى

مفردات عامة الفوائد

مرتبة على الحروف وعلى مضمون الحكايات شواهد

سردت على كل حرف أبياتاً عشرة * على عدة أرباب البيعة البررة

(حرف الألف)

(١)

*إذا مر بي يوم ولم اتخذ يدا *
*ولم استفد علماً فذاك من عمري *

(٢)

* أذلّ خلق الله بين الورى *
*من أسخط المولى وأرضى العبيد *

(٣)

* الابن ينشأ على ما كان والده *
* ان العروق عليها ينبت الشجر *

(٤)

* التاجر الكيّس في التجاره *
* من خاف في متجره الخساره *

(٥)

* أَلِفُ الكتابة وهو بعض حروفها *
* لما استقام على الجميع تَقَدَّما *

(٦)

* أمّا الطعام فكل لنفسك ما تشا *
* واجعل لباسك ما اشتهاه الناس *

(٧)

* إن الرّجال صناديق مقفلة *
* وما مفاتيحها الا التجاريب *

(٨)

* إن الرسول لنور يُستضاء به *
* مُهَنَّدٌ من سيوف الله مسلول *

(٩)

* إن العفيف إذا استعان بخائن *
* كان العفيف شريكه فى المأثم *

(١٠)

* أيا مُنابك أعياد مجدّدة *
* باليمن تبدو وبالإقبال تختتم *

* (حرف الباء) *

(١)

* بابُ عفو الاله باب شريف *
* وجميع العصاة فيه وقوف *

(٢)

* بثّ الصنائع فى البلاد فأصبحت *
* تجبى اليه محامد الآفاق *

(٣)

* بُثّ النوال ولا تمنعك قِلّتُهُ *
* فكلّ ما فيه نفعٌ فهو محمود *

(٤)

* بذا قضت الأيام ما بين أهلها *
* مصائب قوم عند قوم فوائد *

(٥)

* بصير بأعقاب الأمور كأنما *
* تخاطبه من كل أمر عواقبه *

(٦)

* بصيرٌ بأعقاب الأمور كأنما *
* يرى بصواب الرأى ما هو واقع *

(٧)

* بعثتَ لنا دُرَّ الكلام قلائداً *
* ولا عجب أن يصدُرَ الدُّرُ من بحر *

(٨)

* بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله *
* وهذا دعاء للبرية شامل *

(٩)

* بَلوتُ الرجالَ وأفعالَهم *
* فكلٌّ يعود إلى عنصره *

(١٠)

* بنيّ إن البرّ شيء هين *
* وجه طليق وكلام لين *

* (حرف التاء) *

* (١) *

* تالله ليس دعاؤنا للبّ بالبقا *
* إلا دعاء الناس بالتأمين *

(٢)

* تأمّل سطور الكائنات فأنها *
* من الملك الأعلى إليك رسائل *

(٣)

* تباً لمن يمسي ويصبح لاهيا *
* ومرامه المأكول والمشروب *

(٤)

* تخير إذا ما كنت في الأمر مرسلا *
* فمبلغ آراء الرجال عقولها *

(٥)

* ترقب جزا الحسنى إذا كنت محسناً *
* ولا تخش من سوء إذا أنت لم تسي *

(٦)

* تريد مهذباً لا عيب فيه *
* وهل عود يفوح بلا دخان *

(٧)

* تعوّد فعال الخير دأباً فكل ما *

* تعوّده الإنسان صار له طبعاً *

(٨)

* تواضع إذا ما نلت في الناس رفعة *
* فإن رفيع القدر من يتواضع *

(٩)

* توسل بالنبيّ فكل عبد *
* يُغاث إذا توسل بالنبيّ *

(١٠)

* تيه بلا نسب كبر بلا حسب *
* فخر بلا أدب هذا من العجب *

* (حرف الثاء) *

(١)

* ثق بالذي يعدل بين الورى *
* واصبر ففي الصبر حديث عجيب *

(٢)

* ثق بالكريم إذا تهلل وجهه *
* فهو البشير بنيل كل مراد *

(٣)

* ثق بمولاك ولا تخش أحد *

* وبطه لذ إذا خطب ورد *

(٤)

* ثوب الرياء يشف عما تحته *

* فإذا اكتسيت به فإنك عارى *

(٥)

* ثلاثة أجودها العتيق *

* الراح والدينار والصديق *

(٦)

* ثلاث بآلات بلينا بها *

* البق والبرغوث والبعوض *

(٧)

* ثلاثة بها يطيب العمر *

* المال والجمال ثم الأمر *

(٨)

* ثلاثة تجلو عن القلب الحزن *

* الماء والخضرة والوجه الحسن *

(٩)

* ثلاثة طاب بها المجلس *

* الورد والتفاح والنرجس *

(١٠)

* ثلاثة من غيرها كافية *
* الأمن والإسلام والعافية *

* (حرف الجيم) *

(١)

* جاوز إذا جاوزت بحراً أو فتى *
* فالجار يشرف قدره بالجار *

(٢)

* جددت للتدريس رسماً دارساً *
* لازلت تدرس والأعادي تدرس *

(٣)

* جُدْ لي بعفوك يامَنْ دأبه الجود *
* فالعفو عندك مأمولٌ ومحمود *

(٤)

* جراحاتُ السّنان لها التئام *
* ولا يلتام ما جَرَحَ اللسان *

(٥)

* جزاك الله عن ذا السعي خيراً *
* ولكن جئت في الزمن الأخير *

(٦)

* جزاكم الله عنا كل صالحة *
* فقد افضتم من الإحسان ماشملا *

(٧)

* جزى الله الشدائد كل خير *
* عرفت بها عدوّى من صديقى *

(٨)

* جفوت أناساً كنت آلف قربهم *
* ومابالجفا عند الضرورة من باس *

(٩)

* جمال الليالى فى بقائك فليدم *
* بقاؤك فى عز عليهن خالد *

(١٠)

* جهد البلاء صحبة الأضداد *
* فإنها كى على الفؤاد *

* (حرف الحاء) *

(١)

حاش لله أن نضام ولله * أناس أبوا علينا الضياعا

(٢)

حاش

* حاش الله أن يكون بخيل *
* فيه وصف مستلطف أو جميل *

(٣)

* حبي لكم طبع بغير تكلف *
* والطبع في الإنسان لا يتغير *

(٤)

* حذار يا أيها الباغي ظلامتنا *
* فأن لحم بني الزهراء مسموم *

(٥)

* حرام على عيني لذيذ منامها *
* إذا كان مَنْ أهواه ليس بنائمُ *

(٦)

* حسب الكريم مسبة ومذلة *
* أن لا يزال إلى لئيم يرغب *

(٧)

* حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه *
* فالكل أعداء له وخصوم *

(٨)

* حظ مضى ما كنت أعرف قدره *

* حتى انقضى فعرفته لما انقضى *

(٩)

* حفظ اللسان راحة الإنسان *
* وآفة الإنسان فى اللسان *

(١٠)

* حلف الزمان ليأتين بمثله *
* حنثت يمينك يازمان فكفر *

* (حرف الخاء) *

(١)

* خاطر بنفسك كى تطيب غنيمة *
* إن الجلوس مع الحريم حرام *

(٢)

خبز وماء وظل * ذاك النعيم الأجل

(٣)

* خذ ماتراه ودع شيأ سمعت به *
* فى طلعة الشمس مايغنيك عن زحل *

(٤)

* خلق الله للحروب رجالا *

ورجالا

* وربما لا لقصعة وثريد *

(٥)

* خليلي خليلي دون ريب وربما *
* ألان امرؤ قولاً فظنّ خليلا *

(٦)

* خير اقترابي من المولى حليف رضى *
* وشرّ بعدي عنه وهو غضبان *

(٧)

* خير الصنائع تقوى الله فاتقه *
* يكفيك ما كان من بؤس ومن ألم *

(٨)

* خير المذاهب في الحاجات أنجحها *
* وأضيق الأمر أدناه إلى الفرج *

(٩)

* خير ما ساعد الرجال نساء *
* صالحات تكنّ خلف الستور *

(١٠)

* خير ما ورّث الرجال بنيهم *
* أدب صالح وحسن ثناء *

(حرف الدال)

(١)

* داء قديم وأمر غير مبتدع *
* جور الزمان على أهل المروآت *

(٢)

* دخولك من باب الهوى إن اردته *
* يسير ولكنّ الخروج عسير *

(٣)

* دع التوانى فى أمر تحاوله *
* فأنّ صرف الليالى سابق عجل *

(٤)

* دع الدار واقطع بالنوى علة النفس *
* لعلك تجنى العزم من طيب الغرس *

(٥)

* دع المزاح فقد يزرى بصاحبه *
* وربما آل فى العقبى إلى الغضب *

(٦)

* دَعَت عليه أكفٌ طالما ظُلمت *
* ولن تردّ يدٌ مظلومة أبداً *

(٧)

* دع عتابي فما عليك حسابي *
* كل شاة برجلها ستناط *

(٨)

* دعها سماوية تأتي على قدر *
* لا تعترضها برأي منك تنفسد *

(٩)

* دعواك تطفئ نور العلم منك ولو *
* كانت بحق فكيف المدعى جدلا *

(١٠)

* دلوا على الخير ان لم تفعلوه فقد *
* جاء الدليل على خير كمن فعلا *

(حرف الذال)

(١)

* ذم المنازل بعد منزلة اللوى *
* والعيش بعد أولئك الأيام *

(٢)

* ذهاب المال في حمد وشكر *
* ذهاب لا يقال له ذهاب *

(٣)

* ذهب الحمار ليستفيد لنفسه *
* قرناً فآب وماله أذنان *

(٤)

* ذهب الذين يعاش فى أكنافهم *
* وبقيت فى خلف كجلد الأجرب *

(٥)

* ذهب الشباب فأين تذهب بعده *
* نزل المشيب وحان منك رحيل *

(٦)

* ذهب العمر ضياعاً وانقضى *
* باطلاً إن لم أفز منكم بشئ *

(٧)

* ذو الجهل يفعل ما ذو العقل يفعله *
* فى النائبات ولكن بعد يفتضح *

(٨)

* ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله *
* وأخو الجهالة فى الشقاء منعم *

(٩)

* ذو المعالي يعلو به من تعالى *
* هكذا هكذا وإلا فلا لا *

(١٠)

* ذو الودّ عندي وذو القربى بمنزلة *
* واخوتي اسوة عندي وأحبابي *

(حرف الراء)

(١)

راحة السرّ في التخلف عن كل مراد يرى بعيد المنال

(٢)

* رأيت الله أكبر كل شيء *
* محاولة وأكثرهم جنودا *

(٣)

* رأيت النفس تسأم مالديها *
* وتطلب كل ممتنع عليها *

(٤)

* رأيت تَباعُدَ الاخوانِ قُرباً *
* إذا اشتملت على الودِّ القلوبُ *

(٥)

* رَبِّ إن الهدى هداك وآيا *
* تك نور تهدى بها من تشاء *

(٦)

رُبَّ داءٍ لا أرى منه * سوى الصبر دواء

(٧)

* ربما يدّعى الجميل أناسٌ *
* ما رأى الناس قط منهم جميلاً *

(٨)

* رُبَّ من ترجو به دفع أذى *
* عنك يأتيك الأذى من قبلِهِ *

(٩)

* رَبِّ وفقنى فلا أعدل عن *
* سنن الساعين في خير سنن *

(١٠)

* رضينا قسمة الجبار فينا *
* لنا علمٌ وللأعداءِ مال *

* (حرف الزاى) *

(١)

* زاحمتنى حقائق المدح فيه *

* فهي في غيره شبيه المجاز *

(٢)

* زادك الله رفعةً وسموّاً *
* وسروراً يبقى على الأيام *

(٣)

زانت الليل غُرَّةُ القمر الطا * لع فيه ولم يشنها سواده

(٤)

* زرتني قبل أن أزورك شوقاً *
* فلك الفضل زائراً ومَزوراً *

(٥)

* زُرمَنْ تحب ودع مقالة حاسد *
* ليس العذول على الهوى بمساعد *

(٦)

* زر من تحب ولو شطت بك الدار *
* وحال من دونه حُجُبٌ وأستار *

(٧)

* زعموا حين عاتبوا أنّ ذنبي *
* فَرطُ حبي لهم وماذاك ذنب *

(٨)

* زهد الفتى فيما بأيدى الغير *
* يورثه العز وكل الخير *

(٩)

* زيادة المرء فى دنياه نقصان *
* وشغله غير فعل الخير خسران *

(١٠)

* زينة الله فى القلوب كما *
* زين فى عين والد ولداً *

(حرف السين)

(١)

* سأشكر ما أوليتنى وأذيعه *
* وأنشره فى كل ناد ومحفل *

(٢)

* ساعد بجاهك من يغشاك مفتقراً *
* فالجود بالجاه فوق الجود بالمال *

(٣)

* ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً *
* ويأتيك بالأخبار مَن لم تزوّد *

(٤)

* سدتم الناس بالتقى وسواكم *
* سودته البيضاء والصفراء *

(٥)

* سكتُّ عن السفيه فظن أنى *
* عييت عن الجواب وما عييت *

(٦)

* سل الخير أهل الخير قدما ولا تسل *
* فتىً ذاق طعم العيش منذ قريب *

(٧)

* سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد *
* ملء المسامع والأفواه والمقل *

(٨)

* سل إلى الله فكل الذى *
* ساءك أو سرك جاء من عنده *

(٩)

* سماحة المرء خير من حماسته *
* والحلم آل وحيد ماله آل *

(١٠)

* سيغنيني الذى أغناك عنى *
* فلا فقر يدوم ولا غناء *

* (حرف الشين) *

(١)

* شابَ من وقع حادثات الليالى *
* عارض لم يكن أوان مشيبه *

(٢)

* شاهت وجوه الطالبين لشأوه *
* فهم البيادق وهو مثل الشاه *

(٣)

* شباب وشيب وافتقار وثروة *
* فلله هذا الدهر كيف تردّدا *

(٤)

* شجاع إذا ما أمكنتنى فرصة *
* وان لم تكن لى فرصة فجبان *

(٥)

* شَخَصَ الأنامُ إلى جمالك فاستعذ *
* من شر أعينهم بعيب واحد *

(٦)

* شفيعَ المذنبين تولَّ أمري *
* إذا ما الدهر لي قلبَ المجنّا *

(٧)

* شكرتُكَ إنّ الشكرَ دَيْنٌ على الفتى *
* وما كل مَنْ أقرضته نعمة يقضي *

(٨)

* شكوتُ وما الشكوى لمثلي بعادة *
* ولكن تفيض الكاس عند امتلائها *

(٩)

* شَهِدْنا وجَرَّبنا أموراً كثيرة *
* فلا تهملوا نُصْحَ الصديقِ المجرّبِ *

(١٠)

* شوقي إليكَ لِلَثْمِ كفِّكَ فوق ما *
* يَصِفُ البَنَانُ بألْسُنِ الأقلام *

* (حرف الصاد) *

(١)

* صاحبُ الحاجةِ أعمى *
* لا يرى إلا قضاها *

(٢)

* صاد الصديق وكاف الكيمياء معاً *
* لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا *

(٣)

* صادق خليلك ما بدا لك نصحه *
* فإذا بدا لك غشه فتحوّل *

(٤)

* صار جدّاً ما مزحت به *
* رب جدّ ساقه اللعب *

(٥)

* صبراً على أهوالها لا تضجر *
* فربما فاز الفتى إذا صبر *

(٦)

* صدر رحيب لما يأتي الزمان به *
* وهمة تسع الدنيا وما تسع *

(٧)

* صديقك حين تستغني كثير *
* وما لك عند فقرك من صديق *

(٨)

* صديقك من وافاك عند شديدة *

* وكل تراه في الرخاء موافياً *

(٩)

* صغيرهم ككبير في اقتناء علي *
* من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم *

(١٠)

* صن العلم وارفع قدره وارع حقه *
* ولا تُلقه إلا إلى كل منصف *

(حرف الضاد)

(١)

* ضاع معروفٌ واضع المعروفِ في غير أهله *

(٢)

* ضاقت فلما استحكمت حلقاتها *
* فرجت وكان يظنها لم تفرج *

(٣)

* ضاقت ولو لم تضق لما انفرجت *
* والعسر مفتاح كل ميسور *

(٤)

* ضاهي السحائب منه جودُ يده *
* معتادة بالبسط والقبض *

(٥)

* ضحكتُ من البين مستغرباً *
* وشرّ الشدائد ما يضحك *

(٦)

* ضدّان لما استجمعا حَسُنا *
* والضدّ يظهر حُسنَه الضدّ *

(٧)

* ضرائب أبدعتَها فى السماح *
* فلسنا نرى لك فيها ضريبا *

(٨)

* ضيعت عمرك لا خلاعةَ ماجنٍ *
* حصّلتَ فيه ولا وقار مُبَجَّل *

(٩)

* ضيعتَ عهدَ فتى لعهدك حافظٍ *
* عجباً لهذا الحفظ والتضييع *

(١٠)

* ضَيَّعَ ما نالَ بما يُرتَجى *
* والنار قد يُخمدها النافخ *

(حرف الطاء)

(١)

* طاردته في حلبة الفخر قوم *
* وقفوا في أوائل الأشواط *

(٢)

* طب داء الزمان وهو جسيم *
* قصرت دونه يدا بقراط *

(٣)

* طبع الفتى يسرق من طبع من *
* يصحبه فانظر لمن تصحب *

(٤)

* طُبعت على كدرٍ وأنت تريدها *
* صفواً من الأقذاء والأقذار *

(٥)

طلب المعيشة فرقة * بين الأحبة والوطن

(٦)

* طلبت وفاء الشكر فيما صنعت بي *
* فقصرتُ مغلوباً وإني لشاكر *

(٧)

* طفح السرور علىّ حتى انني *
* من عظم ما قد سرّني أبكاني *

(٨)

* طوبى لأعين قوم أنت بينهم *
* القوم في نزهة من وجهك الحسن *

(٩)

* طوّق الناس بالندى فهناهم *
* في دوام ورزقهم في انبساط *

(١٠)

* طويل عمر المعالي والندى أبدا *
* قصير عمر الأعادي والمواعيد *

* (حرف الظاء) *

(١)

* ظاهري دون باطني مستجاد *
* ليت حالي يكون بالمقلوب *

(٢)

* ظلمت امرءا كلفته غير خلقه *
* وهل كانت الأخلاق إلا غرائزا *

(٣)

* ظلوم لنفسى غير أنى مسلم *
* أصلى صلاتى كلها وأصوم *

(٤)

* ظننت بك الجميل وأنت أهل *
* بحقك لا تخيب حسن ظنى *

(٥)

* ظننت به خيراً فقصر دونه *
* ويارب مظنون به الخير خائب *

(٦)

* ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم *
* حللت بواد منهم غير ذى زرع *

(٧)

* ظهر الحياء بوجهه فترى به *
* بشر السرور وهيبة المغتاظ *

(٨)

* ظهر الكذب فى الورى والنفاق *
* فلسوق النفاق فيهم نفاق *

(٩)

* ظهرت خيانات الثقات وغيرهم *

* حتى اتهمنا رؤية الابصار *

(١٠)

* ظهر لدين الله قد جعل الورى *
* فى رقدة والملك فى استيقاظ *

(حرف العين)

(١)

* عباراتنا شتى وحسنك واحد *
* وكل إلى ذاك الجمال يشير *

(٢)

* عتبت على عمرو فلما فقدته *
* وجربت أقواما بكيت على عمرو *

(٣)

* عجباً للكفار زادوا ضلالاً *
* بالذى فيه للعقول اهتداء *

(٤)

* عجبت لمن يشرى العبيد بماله *
* ولا يشترى حراً بلين مقاله *

(٥)

* عجبت من الزمان وأى شئ *

* عجيب لا يكون من الزمان *

(٦)

* عدو صديقى داخل فى عداوتى *
* وانى لمن ود الصديق صديق *

(٧)

* على المرء أن يسعى لما فيه نفعه *
* وليس عليه أن يساعده الدهر *

(٨)

* عليك تنسك أن العمر عارية *
* ومرتعى روضة الآمال مهزول *

(٩)

* عليك نفسك فتش عن معايبها *
* وخل عن عثرات الناس للناس *

(١٠)

* عود لسانك قول الصدق تحظ به *
* إن اللسان لما عودت معتاد *

* (حرف الغين) *

(١)

غاب عنا فغرحنا * جاءنا أثقل منه

(٢)

* غدا الساعون خلفك فى المعالى *
* كمثل الصف يقدمه الإمام *

(٣)

* غموض الحق فى أفهام قوم *
* يقال ناصر الرجل المحق *

(٤)

* غنى المرء عز والفقير كأنه *
* إلى الناس من عظم الكراهة أجرب *

(٥)

* غنى النفس ما يغنيك عن سدّ خلة *
* فإن زاد شئ عاد ذاك الغنى فقراً *

(٦)

* غنى النفس يغنى النفس حتى يكفها *
* وإن عضها حتى أضرّ بها الفقر *

(٧)

* غنى النفس يكفيها إذا كنت قانعاً *
* وليس بمغنيك الكثير مع الحرص *

(٨)

(٨)

* غير مأسوفٍ على زمن *
* ينقضي بالهمّ والحزن *

(٩)

* غيري بجبل سواكم متمسك *
* وأنا الذي بترابكم أتمسك *

(١٠)

* غيري يغيره عن حَسَنٍ شيمته *
* صرفُ الزمان وما يأتي من الغير *

* (حرف الفاء) *

(١)

* فأحسن إلى الأحرار تملك رقابهم *
* فخير تجارات الرجال الصنائع *

(٢)

* فإنك إن أعطيت بطنك سؤله *
* وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا *

(٣)

* فإن لم يكن في المال وسع وكثرة *
* ففي النفس مني عزة وإباء *

(٤)

* فإن نمت عني واطرحت وسائلي *
* فلله عين لا تكاد تنام *

(٥)

* فتى إن يرض لم ينفعك شيئاً *
* وإن يغضب عليك فلا تبالي *

(٦)

* فعاشر بمعروف وفارق من اعتدى *
* عليك وادفع بالتي هي أحسن *

(٧)

* فما هي إلا ساعة ثم تنقضي *
* ويذهب هذا كله ويزول *

(٨)

* فوض إلى الله الأمور مسلماً *
* فالعبد أحسن حاله التسليم *

(٩)

* فلا الجود يفني المال من متكرم *
* ولا البخل في مال الشحيح يزيد *

(١٠)

* فيا ساكني وادي المدينة كلكم *
* إلى القلب من أجل الحبيب حبيب *

* (حرف القاف) *

(١)

* قد حويت الكمال حتى لو اختر *
* ت مزيداً لما رأيت مزيداً *

(٢)

* قد قلت رب لمن أمسى على ثقة *
* بحسن ظنك إني عند ظنك بي *

(٣)

* قد كنتُ آمل منك نفعاً عاجلاً *
* والنفس مولعة بحب العاجل *

(٤)

* قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه *
* خلق وجيب قميصه مرقوع *

(٥)

* قضى الله أن البغي يصرع أهله *
* وأن على الباغي تدور الدوائر *

(٦)

* قل للذي بصروف الدهر عيّرنا *
* هل حارب الدهر إلا من له خطر *

(٧)

* قل للذي يَحفُرُ بئر الردى *
* هيّئ لِرِجلَيكَ مَهاويها *

(٨)

* قليلُ المال تصلحه فيبقى *
* ولا يبقى الكثيرُ مع الفساد *

(٩)

* قنع النفس بالكفاف وإلا *
* طلبت منك فوق ما يكفيها *

(١٠)

* قَوِّضْ خيامَكَ عن أرضٍ تُهان بها *
* وجانِبِ الذُّلَّ إنَّ الذلَّ يُجتَنَبُ *

* (حرف الكاف) *

(١)

* كأنّا من بشاشتنا ظفرنا *
* بيوم ليس من هذا الزمان *

(٢)

* كأنك لم تَتعب وإن كنت متعباً *

إذا

* إذا أنت لاقيت الذى كنت تتبع *

(٣)

* كأن لم يكن بعد ولم تك فُرقة *
* إذا كان مِنْ بعد البعاد تلاقى *

(٤)

* كفى حزناً أن لا حياة هنيئة *
* ولا عمل يرضى به الله صالح *

(٥)

* كَفَى حسودى جهلاً أنه رجلٌ *
* معاندٌ لقضاء الله والقدر *

(٦)

* كل المصائب قد تمرّ على الفتى *
* فتهون غير شماتة الحساد *

(٧)

* كل شئ إذا تناهى تَواهى *
* وانتقاص البدور عند تمام *

(٨)

* كُلُّ شئ يخالِفُ الشَّرعَ بدع *
* وضلال والفضل فيه فضول *

(٩)

كل فضل فى العالمين من فضـــل النبي استعاره الفضلاء

(١٠)

* كم مات قوم وما ماتت مكارمهم *
* وعاش قوم وهم فى الناس أموات *

(حرف اللام)

(١)

* لحومُ أهـل العـلم مسمومـة *
* ومن يعاديهم سريع العطب *

(٢)

* لسان الفتى نصف ونصف فؤاده *
* ولم يبق إلا صورة اللحم والدم *

(٣)

* لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها *
* إذا لم يكن للمبصرين بصائر *

(٤)

* لعمرك ما ردّ اللسان بنافع *
* إذا لم يكن أصل المودّة فى القلب *

(٥)

* لكل داء دواء يستطاب به *
* إلا الحماقة أعيت من يداويها *

(٦)

لكل شيء حسن زينة
وزينة العاقل حسن الأدب

(٧)

لله در النائبات فإنها
صدأ اللئام وصيقل الأحرار

(٨)

لو حبا الله خلقه بالتساوى
لوجدنا فى كل عود ثمارا

(٩)

ليس السعيد الذى دنياه تسعده
إن السعيد الذى ينجو من النار

(١٠)

ليس يبقى على صروف الزمان
غير شكر الأصحاب والأحباب

(حرف الميم)

(١)

ما أبعد المكرمات عن رجل
على سؤال الرجال يتكل

(٢)

* ما أحسن الصدق فى الدنيا لقائله *
* وأقبح الكذب عند الله والناس *

(٣)

* ما أقتل الحرص فى الدنيا لطالبه *
* وأسمج الكبر ممن صيغ من طين *

(٤)

* ما الفخر إلا لأهل العلم إنهمُ *
* على الهدى لمن استهدى أدِلّاء *

(٥)

* ما المرء إلا قلبه ولسانه *
* وسواهما الحيوان فيه شريك *

(٦)

* ما بال دينك ترضى أن تدنسه *
* وثوب جلدك مغسول من الدنس *

(٧)

* ما وهب الله لامرئ هبةً *
* أحسن من عقله ومن أدبه *

(٨)

* منافسة الفتى فيما يزول *
* على نقصان همته دليل *

(٩)

* من عف خف على الصديق لقاؤه *
* وأخو الحوائج وجهه مملول *

(١٠)

* من يحمد الناس يحمدوه *
* والناس من عابهم يعاب *

(حرف النون)

(١)

* نجرى إليه ويجرى نحونا الأجل *
* وكل ساع إلى ساع سيتصل *

(٢)

* نحن ندعو الإله فى كل كرب *
* ثم ننساه عند كشف الكروب *

(٣)

* ندم البغاة ولات ساعة مندم *
* والبغى مرتع مبتغيه وخيم *

(٤)

* نروح ونغدو لحاجاتنا *
* وحاجات من عاش لا تنقضى *

(٥)

* نِعَم الإله على العباد كثيرة *
* وأَجَلُّهُنَّ نجابة الأولاد *

(٦)

* نفسك لا تعطيك كل الرضى *
* فكيف ترجو ذاك من صاحب *

(٧)

* نفسك لم يا ملقيا بذره *
* بين سباخ ان حصدت العنا *

(٨)

* نهاية إقدام العقول عقال *
* وأكثر سعى العالمين ضلال *

(٩)

* نوائب هذا الدهر شتى وإننى *
* أرى فرقة الأحباب أدهى النوائب *

(١٠)

* نور النبوة ساطع بوجوههم *
* يغنى الشريف عن الطراز الأخضر *

* (حرف الهاء) *

(١)

* هارجائى فيك أضحى ثابتاً *
* ولك الأمر ولا عندى قنوط *

(٢)

* هب الدنيا تقاد إليك عفواً *
* أليس مصير ذلك للزوال *

(٣)

* هجر الفتى فوق الثلاث محرّم *
* مالم يكن فيه لمولانا سبب *

(٤)

* هدية العبد على قدره *
* والقصد أن يقبلها السيد *

(٥)

* هما شيآن من ملك ونسك *
* ينيلان الفتى شرفاً رفيعاً *

(٦)

* هو البحر من أى النواحى أتيته *
* فلجته المعروف والجود ساحله *

(٧)

* هو الحبيب الذى ترجى شفاعته *
* لكل هول من الأهوال مقتحم *

(٨)

* هوّن عليك وكن بربك واثقا *
* فأخو التوكل شأنه التهوين *

(٩)

* هى الدنيا تقول بملء فيها *
* حذار حذار من بطشى وفتكى *

(١٠)

* هى القناعة لا تطلب بها بدلاً *
* لو لم يكن لك إلا راحة البدن *

(حرف الواو)

(١)

* وأبق لك الذكر الجميل تدم به *
* فما لسوى الذكر الجميل بقاء *

(٢)

* واترك خلائق قوم لا خلاق لهم *
* واعمد لأخلاق أهل الفضل والأدب *

(٣)

* وأحزم الناس من لم يرتكب سببا *
* حتى يدبر ما تجني عواقبه *

(٤)

* وأحسن أحوال الفتى عند ضرّه *
* رضاه بما يقضي الإله ويحكم *

(٥)

* وإذا أتتك مذمّتي من ناقص *
* فهي الشهادة لي بأني كامل *

(٦)

* وإذا أراد الله رحمة أمّة *
* ولّى أمورهم الرحيم الأرحما *

(٧)

* وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد *
* ذخراً يكون كصالح الأعمال *

(٨)

* وإذا الفتى اختار التباعد واكتسى *
* كبراً عليّ فلست من أصحابه *

(٩)

* وإذا بغى باغ عليك بجهله *
* فاقتله بالمعروف لا بالمنكر *

(١٠)

* وإذا جهلت من امرئ أعراقه *
* وأصوله فانظر إلى ما يصنع *

* (حرف اللام ألف) *

(١)

* لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم *
* أذنب وإن كثرت فيّ الأقاويل *

(٢)

* لا تحسب الأرزاق تقسم باطلاً *
* كلا لقد ساوى المهيمن بينها *

(٣)

* لا تأت بني آدم حاجة *
* وسل الذي أبوابه لا تحجب *

(٤)

* لا تطلبنّ بغير حظ رفعة *
* قلم البليغ بغير حظ مغزل *

(٥)

* لا تَغْتَرِرْ بينى الزمان ولا تقل *
* عند الشدائد لى أخ وحميم *

(٦)

لا تقل أصلي وفصلي أبداً
إنما أصل الفتى ما قد حصل

(٧)

لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

(٨)

لا خير في قربى بغير مودة
ولرب منتفع بقرب أباعد

(٩)

لا يأمن الدهر ذو بغي ولو ملكا
جنوده ضاق عنها السهل والجبل

(١٠)

لا يكذب المرء إلا من مهانته
أو عادة السوء أو من قلة الأدب

(حرف الياء)

(١)

يا عجباً والدهر ذو عجائب
من شاهد وقلبه كغائب

(٢)

* يزيد ك وجهه حسناً *
* إذا ما زدته نظراً *

(٣)

* يسرّ المرء ما ذهب الليالى *
* وكان ذهابهنّ له ذهابا *

(٤)

* يسرّ بالعيد أقوامٌ لهم سعة *
* من الثراء وأما المقترون فلا *

(٥)

* يسرّك ظاهراً ويسوء سرّاً *
* كذلك يكون أبناء الطريق *

(٦)

* يعطيك من طرف اللسان حلاوة *
* ويروغ منك كما يروغ الثعلب *

(٧)

* يقول الناس لى فى الكسب عار *
* فقلت العار فى ذل السؤال *

(٨)

يزري بي كل وقت * وكلما مر يحلو

(٩)

بلسانه

* يموت الفتى من عثرة من لسانه *

* وليس يموت المرء من عثرة الرجل *

(١٠)

* ينال الفتى بالعلم كل فضيلة *

* ويعلو مقاماً بالتواضع والأدب *

ولنذكر هنا ما سبق من الأبيات * المثبتة المتضمنة لمعاني الحكايات * مجموعة في أرجوزة لتتم بها فائدة الكتاب * ويكمل بها النفع للطلاب

بسم الله الرحمن الرحيم

---

* الحمد لله وصل ربي *

* على النبي وآله والصحب *

* وبعد فالتأديب للأبناء *

* أكد واجب على الآباء *

* من أجل ذا نظمت للتنبيه *

* خمساً وأربعين بيتاً فيه *

* في نحو ساعتين والمولى على *

* قصدي أعان جل ربي وعلا *

* اقرّ عين والديك تغنم *
* لاسيما فى العيد أو فى الموسم *
* وإن ترم سرور أم أو أب *
* يوماً فكسب العلم خير مكسب *
* من رام عند الناس طرّاً أن يحب *
* فليلتزم حسن السلوك والأدب *
* وأن يكون طيب السريرة *
* مهذب الأخلاق زاكى السيرة *
* من رام بين العالم ارتفاعه *
* فليلزم العفة والقناعه *
* هل ذل عند الناس عبد يقنع *
* أو عز سيد لديهم يطمع *
* إن رمت أن تشوّق الأولادا *
* وأن ترى من شغلك اجتهادا *
* فعده بالاتحاف يوم العيد *
* وقدّم الوعد على الوعيد *
* يعاقب الجانى بما جناه *
* وذاك فى دنياه أو عقباه *

والظلم

والظلم لا يتركه المولى سدى ❁ مآل كل ظالم إلى الردى

من رام أن يكتسب اللطافة ❁ عليه طول الدهر بالنظافة

فإنها من شعب الإيمان ❁ تطلب في الثياب والأبدان

شر أوصاف الفتى هو الغضب ❁ يفضي إلى ارتكاب ما لا يرتكب

فياله من خصلة ذميمة ❁ في تركها مصلحة جسيمة

وقوة الرأس مع العناد ❁ من أقبح الخصال في الأولاد

والامتثال صفة جليلة ❁ للود ليس مثلها وسيلة

مما يعد من صفات الذم ❁ كتم الصغير عن أب أو أم

سراً حقيراً أو جليلا بل يجب ❁ إبداؤه وعنهما لا يحتجب

الله مبصر لما تعمله ❁ يعلمه لكنه يمهله

* فقس بفعل صالح الأعمال *
* تحز صلاح الحال والمآل *
* من يعص والديه ضل وندم *
* وساء حاله وللرشد عدم *
* وضاع سعيه وخاب أمله *
* ما لم يتب فلا يسوء عمله *
* وعفة الشريف عند الفقر *
* وصبره لعسره مع شكر *
* خير فضيلة عليها يحمد *
* يعقبها اليسر ويبقى السودد *
* والولد الصالح عند الأهل *
* يحب بل يكرم عند الكل *
* يمتاز عن أقرانه فى المكتب *
* تشمله بركة المؤدب *
* فضل البنات الشغل والتطريز *
* ومن حوت علما به تفوز *
* فى سائر الأحوال الاحتشام *
* من جنسهن والحيا يرام *

الرفق بالفقير والضعيف
من حسن أخلاق الفتى الشريف
وخوف رب العرش والمراقبة
أمنٌ من الشرّ وسوء العاقبه
من رام تعليمه بسلك السعدا
فليُسعد الغير ليبقى مُسعَداً
يحب مثل ما له لغيره
يعطي أخاه حبّاً من خيره
يحسن حفظ اللوح للصغير
على مراءٍ بل وللكبير
يرسخ في الذهن وليس يمحى
جرّبه بالتقسيم واقبل نصحا
الكبر ناشئ عن الحماقه
وما لعاقلٍ عليه طاقه
يبغض كل الناس ربّ الكبر
وبالرفيع والوضيع يزري
أستحسن الطباع ومنك الأدب
وأحسن الآداب آداب النبي

* وما سوى أخلاقه فباطل *
* ومن تحلى بسواها عاطل *
* ولا يليق من غلام الطاعة *
* خروج رأيه عن الجماعة *
* ففي اجتماع الكلمة السلامة *
* بها يتمم الفتى مرامه *
* والحمد لله وصلى الله *
* على النبي وكل من والاه *

تم كتاب تعريب الأمثال في تأديب الأطفال السابق تصحيحه وطبعه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين بعد الألف والمائتين من هجرة خاتم الرسل إمام القبلتين ووافق اتمام طبعه الآن مع تمكين تصحيحه عما عليه كان بدار الطباعة الباهره الكائنة ببولاق مصر القاهرة في جمادى الآخرة سنة ١٢٦٣ من الهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه والحمد لله على التمام ونسأله حسن الختام بمنة آمين

الإشـــراف اللـــغـــوى : حسام عبد العزيز

الإشــــــــراف الــفنــى : حســـــن كـــامل

التصميم الأساسى للغلاف : أســـــامة الـــعبد